بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

كليـــــة الأدب

قسم اللغة العربية

رسالة ماجستير بعنوان

شعر ابن الصبّاغ الجذامي

دراسة أدبية وفنيّة

THE POETRY OF IBN ALSUBBAQ ALJUZAMI

ALITERARY ARTISTIC STUDY

إعداد الطالب

يحيى حمدان القضاة

الرقم الجامعي

(٠٣٢٠٣٠١٠١٩)

إشراف

الدكتور عبد الرحمن الهويدي

(قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية من كلية الآداب في جامعة آل البيت)

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة ماجستير بعنوان :

شعر ابن الصباغ الجذامي:
دراسة أدبية وفنية

The Poetry of Ibn Alsubbaq Aljuzami :
Aliterary Artistic Study

إعداد الطالب :
يحيى حمدان القضاة

إشراف :
الدكتور عبد الرحمن الهويدي

أعضاء لجنة المناقشة : التوقيع

د. عبد الرحمن الهويـــــدي	(مشرفاً ورئيساً)
أ. د. عبد الجليل عبد المهدي	(عضواً)
د. أمين عـــــــــــودة	(عضواً)
د. ياسين عايش خليـــــــل	(عضواً)

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة آل البيت .
نوقشت وأوصي بإجازتها/تعديلها/ رفضها بتاريخ .....

المحتوى

الإهداء	٤
مقدمة	٥
تمهيد	١٢
في الحياة الثقافيّة والاجتماعية والاقتصاديّة	
في عصر الموحدين	١٢
الفصل الأول:حياة ابن الصباغ الجذامي	**٢٠**
- اسمه ونسبه ونشأته	٢١
- ثقافتـــــه	٢٥
- رحلاتـــه	٣١
- وفاتـــــه	٣٦
- مصادر شعره	٣٧
الفصل الثاني : موضوعات شعره	**٣٩**
– المديح النبوي	٤٠
– الرثاء النبوي	٤٨
– رسائل شعريّة	٥٠
– مناسبات دينيّة	٥٣
١- المولد النبويّ الشريف	٥٣
٢- شهر رمضان	٥٥
٣- شهر رجب	٥٧
٤- شهر شعبان	٥٩

- الحجازيـات ٦٠

الزهــد والتصوّف ٦٣

الحكم والمواعظ ٧٢

اشكال شعريّة ٧٧

- اللزوميـات ٧٧

- الموشحـات ٧٩

- التخميســات ٨٨

- التربيـــع ٩٠

الفصل الثالث : الدراسة الفنيّة ٩١

تمهيـد ٩٢

بناء القصيدة ٩٣

مقدمة القصيدة ٩٣

ترابط أجزاء القصيدة ٩٦

ختام القصيدة ٩٦

العواطف والمشاعر ٩٩

اللغة والأسلوب ١٠٢

التكــرار ١٠٤

تأثر الشاعر بالقرآن الكريم والحديث الشريف ١٠٩

[illegible] ١١٠

الصورة الشعريّة	١١٥
- الخيال	١١٥
- التشبيه	١١٨
- الاستعارة	١١٩
- الكناية	١٢٠
الخاتمـــــة	١٢٢
المصادر والمراجع	١٢٦

الإهداء :

إلى روح والدي... إلى والدتي أطال الله في عمرها

إلى زوجتي صاحبة القلب العطوف ، الصابرة ... إلى أبنائي وبناتي، وإلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل أهدي هذا الجهد المتواضع.

يحيى

المقدمـــــة

لقد بدأت فكرة الاتصال بالأدب الأندلسي منذ دراستي في مرحـلة البكالوريوس؛ حيث كنت شغوفاً بالنصوص الأندلسية،وعلى الأخص الموشحات منها ،وكنت أجد نفسي قريباً إلى هذه النصوص وكأنها جزءٌ مني، وقد ازدادت صلتي بهذه النصوص وأنا أدرّس هذه المادة إلى طلبة المرحلة الثانوية خلال العشرين سنة الماضية وأصبحت أكثر وضوحاً وجلاءً .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع ؛ فقد ارتأيت الكتابه فيه إذ كان لأستاذي الدكتور عبد الرحمن الهويدي وتشجيعه لي أكبر الأثر في مواصلة تصميمي على الكتابة في الأدب الأندلسي ،إذ تجلى ذلك في اختياره لموضوع البحث عن الشاعر ابن الصباغ الجذامي دراسة أدبية وفنية .

وقد نهجت في دراستي هذه مستفيداً من المنهج التكاملي؛ في دراسة موضوعات شعره: المديح النبوي،والزهد والتصوّف ، وبعد ذلك قمت بتجميـع النصوص التي تحوي غرضـاً واحداً مع بعضها، وقد تشكلت لدي مجموعات من الأشعار التي تعالج موضوعـاً واحداً ، ومن ثم تحديد أبرز السمات التي تشترك بها هذه المجموعات الشعريّة.

يعدّ ابن الصباغ علماً من أعلام الشعر في الأندلس،إذ قـدّم شعراً في موضوعـات المديح النبوي والتصوف ،كما أنه أخرج الموشح من دائرة الغناء واللهو؛ وجعله شكلاً من ينظم به في المدائح النبويّة.

أما أهم المصاعب التي واجهت الباحث أثناء الدراسة فقد تمثلت في قلة المراجـع التي تناولت حياة الشاعر؛ إذ كانت من أهم العقبات التي اعترضت الباحث. ولذلك قد يفيد هذا البحث في إلقاء شيء من الضوء حول الشاعر ابن الصباغ إضافة إلى الجهدين السابقين حول الشاعر ،فليس هناك أي دراسة قد تناولت الشاعر بشكل كامل.

وقد اعتمد الباحث على الدراسات السابقة التي تحدثت عن ابن الصبّاغ ، ومنها : ديوان الشاعر المحقق من قبل الباحثة " نور الهدى الكتاني"؛ وديوان الشاعر المحقق من الأستاذين محمد عناني وأنور السنوسي؛ حيث استعان الباحث بما ورد فيهما من شروحات وتعليقات حول بعض الأشعار وعلى الأخص الديوان المحقق من قبل نور الهدى الكتاني.

والبحث مقسم إلى تمهيد وثلاثة فصول في كل فصل عدد من المباحث، يضع التمهيد الأساس النظري من خلال دراسة للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية إضافة إلى الحياة الثقافية في عصر دولة الموحدين ،وتناولت الدراسة العوامل والدواعي التي أدت إلى تطور الحياة الثقافية ، فقد كان الموحدون يعطون أهمية للناحية الأدبية، ويعود الفضل إلى ولاة أمورهم الذين شجعوا العلم والأدب، فقد كان بعضهم علماء وأصحاب مؤلفات،كما أن الموحدين قد شجعوا الفلسفة وأفرجوا عن العديد من الكتب التي كانت رهينة رفوفها.

وفي الناحية الاجتماعية بينت الدراسة التباين الكبير في عناصر الشعب الأندلسي ،وبينت توزّع المجتمع الأندلسي بين عدد من الطبقات،مع ظهور الفوارق الاجتماعية بين أبنائه،كما أبرزت ظهور الانحلال في الأخلاق و انتشار عوامل المجون واللهو في هذا المجتمع مقابل انتشار الكثير من الزوايا الدينية.

وفي الناحية الاقتصادية قدمت الدراسة تلخيصاً للوضع الاقتصادي في عصر دولة الموحدين ، وقد بينت سوء الأوضاع الاقتصادية في نهاية هذه الفترة ؛ بسبب ازدياد هجمات الإسبان على المدن الأندلسية واستيلائهم على عدد كبير منها.

أما الفصل الأول فقد كان عنوانه : حياته ؛ إذ لم تتحدث المصادر بإسهاب عن حياة الشاعر ،واشتمل هذا الفصل على عدد من المباحث،ففي المبحث الأول تناولت اسمه كما تناولته المصادر التي تحدثت عنه ، وقد بين البحث أن الجذاميين هم من اليمن ، وليس كما

أوردت المحققة نور الهدى أنهم من مصـــر رحلوا إلى اليمن وحســبوا منها، كما بين هذا المبحث الفترة التي عاشها الشاعر في ظل خليفة الموحدين "عمر المرتضى".

وفي هذا المبحث تحدثت عن حياة ابن الصباغ،لكن المصادر لم تذكر شيئاً عن ولادته ،أو شيئاً يدل على وفاته وتاريخها،ولكننا نلحــظ أن الشاعر قد عمّر طويلاً، وأنه قد أصيب بنكبات كثيرة في حياته ،منها فقدان الأحبة والبعد ، وقد أظهر البحث أن الشاعــر مغربي ، ولم يذكر الشاعر في شعره الأندلس وإنما ورد ذكر للمغرب وهذا كله واضح في شعره.

كما تحدثت في المبحث الثاني من هذا الفصل عن ثقافــة ابن الصبّاغ ،وقد برز هذا واضحاً في شعره والذي ينم عن معرفة في مختلف نواحي الحياة الثقافية :دينية،أدبية ...الخ

وفي المبحث الثالث تناول الباحث رحلات الشاعر وخروجه من وطنه،وقد بيّن أن هــذه الرحلات يبرز فيها الحنين إلى الوطن، وأحسب أن حنينه بسبب بعده عن بلاد الحبيب عليه السلام ، فهناك حديث عن البعد ، والحنين إلى الوطن ، والأهل ،كما أنّ هناك ما يسمـــى بالرحلات الروحيّة و الواقعيّة إلى الديار المقدسة .

وبعد ذلك تحدثت عن وفاته ،وقد بيّن البحث أن وفاته قد تكون حدثت في خلافـــة عمر المرتضى؛ فالشاعر قد قام بتخميس قصيدة للخليفة المرتضى ، كذلك فقد نظــم قصيدة في مدحــه والدعاء له، وقد ظهر من خلال أشعاره أنه قد عمّر طويلاً ، وهذا واضح في ديوانه

وقد أنهيت هذا المبحث بذكر المصادر القديمة والمراجع الحديثة التي تحدثت عن الشاعر وذكرت بعضاً من أشعاره.

أما الفصل الثاني فقد كان عنوانه موضوعات شعره ، وقد تحدث البحث عن الأغراض الشعريّة التي طرقها ابن الصبّاغ في قصيدته التقليديّة ومن خلال البحث والتنقيب وجدت أنه قد نظم قصائده في المديح النبوي، والزهد، والتصوّف...الخ .

واشتملت قصائد المديح النبوي على عدد من المحاور :المولد النبوي، والرثاء النبوي ورسائل شعريّة إلى الجناب الشريف ، ومناسبات دينيّة، والحجازيات .

وفي رسائل ابن الصباغ الشعريّة يبث أشواقه وحنينه إلى زيارة الأماكن المقدسة ، وهناك الرسـائل النثريّة والتي تحمل الغرض نفسه كرسائل ابن أبي الخصال ،وقد قدمت بين يدي كل غرض من هذه الأغراض بتعريف لهذا الغرض الشعري ، وقمت بالاستشهاد على كل غرض من هذه الأغراض بعدد من الأبيات الشعرية توضح هذا الغرض .

ففي المديح النبوي تناولت بدايات هذا الغرض الشعري،ووجدنا كثيراً من الدراسات حول المديح النبوي ، مثل حجازيات الشريف الرضي وذكرت السبب الذي جعل الشعراء ينظمون في هذا اللون الشعري ، وهو الحبّ الشديد لشخص الرسول الكريم عليه الصـلاة والسلام ، كذلك وتعدّ الأوضاع القاسية التي عاشها المسلمون في بعض العصور،وما رافقها من كثرة الحروب والفتن التي سادت الدور الكبيـر، والباعث الشديد في تنامي هذا اللون الشعري.

كذلك فقد تناول هذا المبحث موضوع الرثاء النبوي عند ابن الصباغ ،فقد نظم قصيدة واحدة ،وفيها بيّن أثر وفاة الرسول عليه السلام على المسلمين.

أما في قصائد المناسبات الدينيّة،فقد توصّل البحث إلى أن الشّاعر قد خصص قسماً من ديوانه للحديث عن المناسبات الدينية، فقد تناول مناسبة المولد النبوي الشريف ، كذلك فقد خصص بعض الأشعار والقصائد للحديث عن شهر رمضان وليلة القدر وعن شهري رجب وشعبان طالباً من المسلمين شكر الله أن بلغهم هذه الشـهور ، دافعاً إياهم على إكـرام وفادة هـذه الأشهر فهي كالضيف ومن الواجب إكرامه.كما أن الشاعـر قد نظـم قصـيدة في الرثاء النبوي.

وتناولت أيضاً موضوع شعر الحجازيات،ويشتمـــل هذا الغرض الحديث عن الأمـــاكن الحجازية؛فالشاعر يذكر هذه الأماكن، ويتمنى زيارتهـــا ، وفي أحيان أخرى يتحدث عن هذه الأماكن ويسهب في التفصيل عنها وكأنه زارها ، وهو من أصحابها عارف بجميع تفصيلاتها، وقد أظهرت الدراسة أن الشاعر قد يكون زار هذه الأماكن في سن متأخـــرة.

والمبحث الثاني في هذا الفصل فقد كان الحديث فيه عن موضوع الزهد والتصوّف عند ابن الصباغ وقد بدأت بتعريف لهذا اللون الشعري ،وذكرت الآراء المختلفـــة الواردة فيه وكذلك الحديث عن فكرة ظهور الزهد في المجتمع الإسلامي ، ثم تحدثت عن العوامل التي أدت إلى تطور فكرة الزهد في عصر ابن الصباغ الجذامي ، وفي العصور التي سبقته ،وقد كشف البحث عن أن هذه العوامل تتلخص في الناحية الإيمانية التي تعمر قلب الإنسان ،كالحال عند ابن الصباغ وتزهده ،و أن زهده قد يكون بسبب الشيخوخة ، والإحساس بدنو الأجل ،ويؤكد ذلك المكفرات التي نظمها الشاعر ، كما أن الأحوال السيئة التي عاشها المسلمـــون ودورهـــا في تنامي هذا الجانب وما أصابهم من يأس وقنوط إزاء تلك الأوضاع،ولا ننسى ما وصلت إليه البـــلاد الإسلامية من سوء في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعيـــة،وتتمثل في غلاء الأسعار،وكثرة المجاعات ، وغيرها من هذه الأوضاع السيئة ، وقد تعزز هـــذا الحديث بالاستشهاد بالأشعار التي نظمها في هذا المجال.

وترافق مع الزهد في هذا المبحث الحديث عن شعر التصوّف عند ابن الصباغ الجذامي ،وقد بدأت الحديث بتعريف لهذا الغرض ،وابرز الأقوال فيه ،ومن خلال الدراسة تبين أن الشاعر كان متميزاً ، وله حضور في الشعر الصوفي فقد ظهرت في شعـــره الكثير من الإشارات والتلميحات التي يؤمن بها الصوفيون : كالحقيقـــة المحمديّة ، والمصطلحات الصوفية ، كما أن الشاعر لم يكن من الشعراء الصوفيين أصحاب الاتجاه الفلسفـــي كابن عربي وابن الفارض ، وإنما برز عنده الاتجاه السني الجمعي ،ولم يظهر عنده الغـــزل

بالنساء كما هو الحال عند الشاعرين السابقين. كذلك فقد تناول هذا المبحث شعر الحكم والمواعظ ، والتي تدل على اهتمام الشاعر بهذا اللون الشعريّ

وفي المبحث الثالث من هذا الفصل تحدثت أشكال شعريّة نظمها الشاعر غير القصيدة التقليديّة مثل اللزوميات ،فقد نظم أشعاراً ألزم نفسه فيها بأمور لا تلزم،كذلك تحدثت عن الموشحات ،وأبرز الآراء التي تناولت هذا الشكل الشعري،وقد أخضع هذا الشكل الشعري وطوّعه لأغراض شعرية كانت وقفاً على القصيدة التقليدية:كالمديح النبوي والزهد،وقد بين البحث تميّزه عن غيره من الشعراء المعاصرين له في العدد الكبير من الموشحات التي نظمها، وقد غلب على موشحاته اسم المكفرات: وهي بمثابة تكفير للأشعار التي قالها في وقت معين ،أو الأشعار التي قالها غيره ،وكأنه يُكفّر عن هذا الشاعر،وقد سبقه في هذا المجال ابن عبد ربه،وقد أسماها "المحمصات"

كذلك فقد تناول البحث شعر التخميسات ، وتحدث عن أبرز الأغراض الشعرية لشعر التخميسات،وكان المديح النبوي من أوسع هذه الأغراض وأكثرها ظهوراً في تخميسات ابن الصباغ ، كما تمّ الحديث عن التربيع ، وللشاعر تربيع واحد.

أما الفصل الثالث فقد جاء تحت عنوان الدراسة الفنية لشعر ابن الصباغ الجذامي،وهي دراسة شاملة لجميع الأشكال الشعرية التي طرقها الشاعر، وقد جاء هذا الفصل في عدة مباحث.

وقد خصص المبحث الأول للحديث عن بناء القصيدة ، وبدايتها وخاتمتها ، والترابط بين أجزائها ، وكذلك الحديث عن العواطف والمشاعر.

كذلك فقد تحدثت عن اللغة والأسلوب ،وتناول البحث أيضاً ظاهرة التكرار،وقد ظهرت واضحة في جميع الأشكال الشعرية،فقد كرر الشاعر معانٍ وألفاظاً ذكرها في القصيدة أو

الموشح أوالتخميس ، فقد كان يكرر نفس الألفاظ الواردة في القصيدة في الموشـــح أوالتخميس،كذلك فقد ذكر هذا المبحث تأثر الشاعر بالقرآن الكريم والحديث الشريف.

وتحدث المبحث الثاني عن الصنعة البديعة ، وقد تبين من خلال الدراســـة أن الشاعر قد طرق ألواناً بديعيّة : كالجناس ، والطباق ،والمقابلة، وقد قدمت تعريف في بداية كل لون من هذه الألوان،

وفي المبحث الأخير من هذا الفصل كان تحت عنوان الصورة الشعريّة عند ابن الصبّاغ وقد برز فيه عدد من العناصر التي وضحت معنى العبارات ،وقد ظهر من هذه العناصر: الخيال،التشبيه ،والاستعارة والكناية وقد كان كل مبحث يبدأ بمقدمة تبحث في هذا الموضوع وينتهي بخلاصة حول قدرة الشاعر ومدى نجاحه في معالجته

وقد ختمت هذا البحث المتواضع بالإشارة إلى أبرز النتائج التي توصـــل إليها من خلال هذه المسيرة مع ديوان ابن الصباغ .

وأخيراً لا يفوتني أن أتقدم بعظيم الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد الرحمن الهويدي الذي لم يبخل على الباحث والبحث بالتوجيه ،فقد كان لصدره الرحب خير عون على انجاز هذه الرسالة .

ويسعدني أن أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الأساتذة الأجلاء :

الدكتور(أمين عودة) والدكتور(عبد الجليل عبد المهدي) والدكتور(ياسين عايش) الذين تحملوا هذه الرسالة وتجشموا عناء مراجعتها ومناقشتها.

كما أشكر شقيقي (سالم) الذي ساعدني في الحصول على نسخة الديوان، والشكر الجزيل إلى الزميل الدكتور علي الخرابشة، والزميل مصطفى القضاة، وكل الشكر لكم جميعاً

تمهيـــــد :

في الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة في عصر الموحدين

يُعدّ ابن الصباغ الجذامي من شعراء القرن السابع الهجري،وقد عاش جزءاً من حياته في خلافة الخليفة الموحديّ عمر المرتضى،الذي حكم المغرب بين عامي (٦٤٦- ٦٦٥)هـ ،وأن ابن الصباغ قد نظم في المرتضى قصيدة ،وهو يوم ذاك خليفة ، وفيها يدعو أن" يعينه الله في ما يريده في المطيع والمجرم ،وأن ينصره ، وأن يعزه وحزبه بمجـــد لايبلى ،وأن يعطيه ما يشاء ؛حيث يقول :

وأنِل خليفتَكَ الإمامَ المُرْتَضَى ما شاءه في مُجْرِمٍ ومُطِيع

وافتَحْ له وانْصُره واقض لِحِزْبِهِ بدوام عزّ لا يرام منيـــــع"[١]"

وتبدو أن الحياة مستقرة في هذه الفترة من تاريخ الأندلس ، فقد بدت فيها الأندلس مزدهرة في معظم الميادين وخاصة في الناحية الاقتصاديّة ، ويذكر المراكشي في المعـــجب : " كان يرتفع إليه خراج أفريقية ، وجملته في كل سنة وفر مائة وخمسين بغلاً ، هذا من أفريقيـــة وحدها ، خلا بجاية وأعمالها ، وتلمسان وأعمالها" "[٢]"

كذلك ويذكر المراكشي عن هذا الاستقرار " ولم تزل أيام أبي يعقوب هذا أعياداً وأعراساً ومواسم ، وكثرة خصب ، وانتشار أمن ، ودرور أرزاق ،واتساع معايش،لم يرأهل المغرب أياماً قطُّ مثلها" ."[٣]"

لكن هذا الاستقرار لم يطل وذلك بسبب الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في معركة العقاب سنة (٦٠٩)هـ ، وتعود أسباب هذه الهزيمة كما يذكر المراكشي:" اختلاف قلوب الموحدين وذلك أنهم كانوا على عهد أبي يوسف يعقوب يأخذون العطـــاء في كل أربعة أشهر لايخل

---

[١]- الديوان : ص ١٩١

[٢]- المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، الدار البيضاء: دار الكتاب ، ط٧، ١٩٦٨، ص٣٧٠

[٣]- نفسه: ص٣٧١

ذلك من أمرهم ،فأبطأ في مدة أبي عبد الله هذا عنهم العطاء ... فنسبوا ذلك إلى الوزراء ، وخرجوا وهم كارهون ، فبلغني عن جماعة منهم أنهم لم يسلّوا سيفاً ولا شرعوا رمحاً ، ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال ؛ بل انهزموا لأول حملة الافرانج عليهم ."[١]"

تولى المرتضى الحكم بعد وفاة الخليفة السعيد سنة(٦٤٦)هـ " وعقدت له البيعة في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة ذاتها، وقد كان واليا للسعيد ... ثم ارتحل إلى مراكش فدخلها ، وجددت له البيعة وهو بها،فأمر بها فقُرئت على الناس ، فبايعه جميع من حضره من الموحدين والفقهاء والأشياخ" "[٢]" .

وقد انتهى حكم الخليفة عمر المرتضى سنة ٦٦٥هـ ، فقد "خرج عليه أمير من أمراء الموحدين اسمه أبو العلاء إدريس ويعرف بأبي دبوس ، وتلقب بالواثق ، وتحالف مع بني مرين ؛ ليعينوه على استخلاص العرش من يد المرتضى ،وسلّم إليهم مدينة مراكش ثمناً لمعونتهم ولكنه لم يستطع أن يفلت من أجله فمات قتيلاً"."[٣]"

وقد قال عنه ابن أبي زرع في الأنيس المطرب:" وكان المرتضى يدعي الزهد والتصوف والورع ، وتسمى بثالث العمريين ، وكان مولعاً بالسماع لايكاد يستغني عنه ليلاً ولا نهاراً ، وكانت أيامه أيام أمن ودعة ورخاء مفرط لم ير أهل مراكش مثلها" . "[٤]"

في الحياة الثقافية

كان الموحدون أقل تشدداً من أسلافهم المرابطين،وأوسع أفقاً منهم ." فقد أظهر أئمتهم اهتماماً بالعلوم والفنون ، وأطلقت حرية التفكير والبحث بعد أن قيدت في عهد المرابطين، وأفرج عن كتب الغزالي وغيره من مفكري الشرق... ولقد بلغت في هذه الفترة النهضة الفكرية في الأندلس ذروة نضجها وظهرت طائفة من أقطاب العلم والأدب،وفي طليعتهم

١- المراكشي : المعجب (المصدر السابق) ،ص ٤٥٧

٢- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٢، ص٢٥٩

٣- المراكشي : المعجب ،ص ٤٧٦-٤٧٧

٤- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، (مصدر سابق) ، ص٢٥٩

أشهر الفلاسفة في تاريخ الإسلام : ابن طفيل "[١]" (٥٧١ هـ) صاحب رسالة "حي بن يقظان" ،وابن رشد "[٢]" المتوفى سنة ٥٩٤ هـ أعظم فلاسفة الإسلام ومفكريه في هذا العصر ، كما ظهر عدد من أعلام الفكر والأدب مثل ابن بشكوال القرطبي"[٣]" المتوفى سنة ٥٧٨هـ صاحب كتاب الصلة "[٤]".

ولا ننسى الاهتمام الذي أولاه ابن تومرت للعلم والعلماء ،" فقد كانت مجالسه عامرة بالعلماء، وقد ترك مؤلفات كثيرة أصبحت الكتب التي تدرس بعد وفاته ،وسار على هذا النهج الخلفاء الذين جاءوا بعده، ولا سيما في عهد المنصور الموحدي"[٥]".

أما الموشحات والأزجال فقد أصابها التطور لاسيما أنها أصبحت قالباً من قوالب النظم الشعريّة الجديدة للمدائح النبويّة ؛ فقد نظم ابن عربي "[٦]"، ومن جاء بعده موشحات في المديح النبوي ، والتصوّف، وغيرها من الأغراض الدينيّة ، بعد أن كانت هذه الأغراض مقصورة على القصيدة التقليديّة .

وبلغت "دولة الموحدين أوج عزها في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي ومن بعده ابنه الخليفة المنصور،فقد شجّع الموحدون العلوم والآداب،وازدهرت المعاهد العلمية في اشبيلية وقرطبة وغرناطة وغيرها،وأخذ يقصدها الطلاب من كل فج؛حيث فيها المكتبات التي تضم الكتب النفيسة والتآليف النادرة في مختلف العلوم والفنون،وقد استقدم المنصور الفلاسفة إلى بلاطه:كابن طفيل وابن رشد ، وكذلك عنى بالعمارة ورعاية الفنون وأقيمت في عهدهم

---

[١]- محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل، فيلسوف ولد في وادي آشي، تعلم الطب في غرناطة ، وخدم حاكمها ،ثم أصبح طبيبا للسلطان أبي يوسف من الموحدين سنة ٥٥٨هـ ،وقد استمر إلى أن توفي بمراكش ...وهو صاحب قصة "حيّ بن يقظان"(الزركلي: الأعلام، بيروت : دار العلم للملايين،ط٨، ١٩٨٩، ٢٤٩/٦) وانظر المعجب٢٣٩-٢٤٢،

[٢]- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، وكان ينتمي إلى أسرة عريقة ... كان جده قاضي قرطبة ، توفي سنة ٥٩٥هـ(ماجد فخري : ابن رشد فيلسوف قرطبة، بيروت: دار المشرق، ط٣، ١٩٩٢)

[٣]- خلف بن عبد الملك بن مسعود الخزرجي الأنصاري الأندلسي (٤٩٤- ٥٧٨ هـ) مؤرخ بحّاثة من أهل قرطبة(بسام عبد الوهّاب الجابي : معجم الأعلام ، الجفان والجابي للطباعة والنشر ، ط١، ١٩٨٧، ص ٢٤٤)

[٤]- جودت الركابي :في الأدب الأندلسي ، دار المعارف بمصر،ط٢ ، ١٩٦٦، ص٥٦

[٥]- منجد مصطفى بهجت: الأدب الأندلسي من الفتح حتى السقوط ، ١٩٨٧(نسخة مصورة)، ص٩٢

[٦]-محمد بن علي بن محمد ابن عربي المعروف بمحيي الدين بن عربي ، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم ، ولد في مرسية بالأندلس ، وانتقل إلى أشبيلية، وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز (الزركلي: الأعلام، بيروت : دار العلم للملايين،ط٨، ١٩٨٩، ٢٣٣/٦) وانظر فوات الوفيات ٢٤١/٢، جذوة الاقتباس ١٧٥

طائفة من المساجد والأبنية التي تمتاز بجمالها الفني ، ومن أثارهم الباقية منارة الجامع الكبير في اشبيلية ."[١]"

والمتتبع للفنون الأدبية التي نالت الحظوة في الفترة الأخيرة من حكم الموحدين ، نجد الآداب الدينية قد نالت تركيزاً أكبر من غيرها من الفنون الأخرى ؛ وقد يكون السبب في ذلك أن هذه الفترة قد شهدت أوضاعاً صعبة وتمثل ذلك بالحروب مع الأسبان ، وانتشار اللهو ، والملذات ؛ مما جعل الناس يقبلون عليها، ويبتعدون عن الآداب الدينيّة ؛ لذلك فقد وجد الشعراء أن الخلاص من هذه الأوضاع قد يكون بالتوسل والتشفع بالرسول ﷺ.

وفي القرن السابع الهجري سادت الأندلس نزعة تصوفيّة عامة؛ فظهر هناك عدد من كبار رجال التصوف، وتعود أسباب هذه النزعة الصوفية وعوامل انتشارها بالدرجة الأولى إلى الرغبة عند الناس في العودة إلى الدين ، مقابل هذه الانسياق وراء الملذات والشهـــوات وهناك أيضاً تشجيع الخلفاء على سلوك هذا المســـلك ، ويروى عن بعض خلفائهم أنهم قـــد ضربـــوا أمثلة كبيرة في الزهـــد والتقشف والتبتل "[٢]"،وهذا يعني أن الزهد وهو الطريق إلى التصوّف قد كان بدوافع كثيرة :كالدافع الديني والدافع بسبب الأمراض الإجتماعيّة ،وهناك دافع بسبب الشيخوخة ودنو الأجل، كما أن الظروف العامة التي أشاعتها الحروب العنيفة المتواصلة بين المسلمين والنصارى ؛ والتي ألهبت المشاعـــر الدينيّـــة،يضاف إلى ذلك الاضطراب النفسي والاجتماعي والاقتصادي والذي أشاعته ظروف الحرب هذه في البلاد الأندلسيّة كلها.

كما أن الفلسفة قد تميزت بين العلوم التي شجعها الموحدون،وظهر في عصرهـــم أعظم فلاسفة المسلمين،أمثال: الفيلسوف ابن رشد وابن زهر وابن طفيل.فابن زهر طبيب ، والآخران من الفلاسفة .

---

[١]- جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ،(مرجع سابق) ، ص ٥٦

[٢]- ويذكر المراكشي في المعجب إن ابن تومرت كان يميل إلى الزهد والتقليل والتشبه بالصالحين ، والتشدد في إقامة الحدود ، ص٢٨٤)

مما سبق يتبين لنا أن الحياة الفكرية والأدبية في عصر الموحدين كانت مزدهرة، ويعود الفضل في ذلك إلى الاهتمام الكبير الذي أولاه ولاتهم للفكـــر والأدب ، على عكس أسلافهم المرابطين الذين كانوا يتميزون بالخشونة والحروب.

في الحياتين الاجتماعية والاقتصاديّة:

إن المتأمل لتركيبة المجتمع الأندلسي يجد أنه خليط من أعراق مختلفة ، ويمكن إجمال عناصر هذه التركيبة بالآتي :

١- العرب الذين قدموا إلى الأندلس حاملين مشاعل الهداية والدين،فاتحين هذه البلاد،وقد استقر كثير منهم فيها ،أعجبهم جمالها وآثروا البقاء فيها؛ فتزوجوا من نسائهاوأنجبوا جيلا جديدا،و كانوا في بداية الفتح قلة بالقياس إلى فئات المجتمع الأخرى.

٢- البربر ويعدون القوة التي تمّ من خلالها فتح الأندلس،وقد كانوا في البداية يشكلون العدد الأكبر في تركيبة الجسم الأندلسي ، وهؤلاء البرابرة يشاركون العرب في البداوة والإسلام والعصبية القبلية ،وقد اجتهدوا في التعرّب؛ فأخذوا يدرسون العربية ويتعلمون الإسلام،والتفقه فيه،وقد اتصلوا بجيرانهم وحدثت بينهم علاقات من المودة والمصاهرة.

٣- الموالي :وهم موالي بني أمية الذين دخلوا الأندلس إبان الفتح الإسلامي لها.

٤- المولدون :وهم العنصر الناشئ من تزاوج العرب بالبربر ، وهم من أبناء النساء البربريات والأسبانيات ومن الصقالبة،وقد خرج جيل يجمع بين العربي والجنس الآخر من الأسبان أو الصقالبة أو البربر، وهذا الجيل يشبه ما كان موجودا في المشرق من تزاوج العرب بالفارسيات وغيرهن.ومما دعا العرب إلى هذه الزيجات ما عرف عن هذه الأجناس من بياض بشرة واصفرار شعر وزرقة عيون،فنتج جيل جديد يحمل صفات جديدة .

٥- أهل الذمة : وهم النصارى أصحاب البلاد الأصليون الذين ظلوا على دينهم، يضاف إليهم اليهود الذين كانوا يسكنون الأندلس قبل دخول الإسلام إليها،وقد ضمن الإسلام لهذين العنصرين حريتهما في العبادة والحياة،وعوملوا معاملة الذميين،كما كان الحال في المشرق العربي في عصور الإسلام ، مقابل دفعهم الجزية والخراج كما نصت عليه الشريعة الإسلامية.

٦- الصقالبة: هم جميع العبيد الأجانب الأوربيين الذين دخلوا في عداد جند الخليفة،أو أنهم الذين قدموا للقيام بخدمات في البلاط،وقد أخذوا يتزايدون مع الأيام،وبعضهم قد تحرر من العبودية وأخذ يشغل مكانا بارزا في الحياة الاجتماعية،وأمتلك الأرض والضياع."[١]"

أما الموحدون" فهم طائفة من إفريقيا من أصحـــاب ابن تومرت الذي أراد أن يصنـــع للدين عهداً جديداً فدعا نفسه بالمهدي ، وجمع حوله الأنصار ،وأعلنت شيعته بعد ذلك الجهاد على المرابطين ، فغلبوهم في إفريقيا ، ثم نقلو الحرب إلى الأندلس وغلبوهم أيضاً ."[٢]"

وقد أطلق ابن تومرت على حركته اسم التوحيد ، وشرع يدعو الناس إلى التمسك بأهداب الدين وإقامة الشرع، ويبين لهم فساد الحكام وأخذ يدعوهم إلى عصيانهم ،وأطلق عليه أتباعه المهدي وقد شارك المهدي مع مؤيديه في قتال المرابطين ،وانتصر عليهم في مواقع متعددة، ولكنه مات قبل أن يقضي عليهم ، فتبعه على الحكـــم عبد المؤمن بن علي الذي لقب بأمير المؤمنين الذي تابع سلفه في قتال المرابطين حتى أزال دولتهم ."[٣]"

---

[١]- انظر تركيبة هذه العناصر في:عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس،القاهرة: دار الآفاق العربية، ص١٣٤ - ١٣٦ ، وكتاب جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، (مرجع سابق)ص ٣٤-٤٠و المراكشي في المعجب يورد بعض الأخبار حول تركيبة المجتمع الأندلسي عند الموحدين ، وهي ممثلة للمجتمع الأندلسي، ص ٤٨١- ٤٨٥

[٢]- جودت الركابي :في الأدب الأندلسي ،(مرجع سابق)ص٢٨

٣ - نفسه: ص ٢٩

إن المتتبع للناحيتين الاجتماعيّة و الاقتصاديّة في المجتمع الأندلسي في عصر الدولة الموحديّة؛يجد تبايناً كبيراً بين فئات هذا المجتمع،فهناك الانتشار الواسع للزوايا الدينيّة مقابل الانحلال الذي ساد في بعض طبقات المجتمع .

فالدعوة الموحديّة قائمة على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد انتعش الزهد ،"وتكاثر الزهاد في عصر الموحدين مثل ابن حرزهم "[١]" المتوفى سنة٥٥٩ هـ ، وأبي عبد الله السلالجي "[٢]"الأصولي المتوفى سنة٥٦٤هـ، وكذلك ابن تخميست المتوفى سنة ٦٠٨هـ ." "[٣]"

وقد كان الكثير من الزهاد يسلكون طريق الزهد بدافع ديني ، ويورد شوقي ضيف قصة عن أحد الزهاد :" وأصابت أهل فاس مجاعة ، وكان عنده ألف وسق (حمل بعير) من تمر فباعه كله للمحتاجين الضعاف ، وأخرهم بالثمن إلى أجل ، فلم حلّ الأجل استدعاهم إلى منزله ، فرمى بالوثائق جميعاً بالماء ، وقال لهم : أنتم منها الآن في حلّ ،فإني ما بعت لكم ولا أعطيتكم إلا مال الله تعالى " "[٤]"

وكان السبب في ازدياد الأوضاع الاجتماعيّة سوءاً؛ هو الهجمة الشرسة من الأسبان ، واستيلائهم على عدد من المدن الأندلسية ؛ الذي أدى إلى تنامي التيار الديني في نفوس المسلمين،ونشط الفقهاء والعلماء في تبصير المسلمين بالخطر الذي يتهددهم،وأن السبيل هو العودة إلى الدين كما أنهم قد أوقدوا شعلة الجهاد في نفوسهم .

لقد " ألقت الأوضاع الاجتماعية بظلالها على الناحية الاقتصادية ، فقلت موارد الدولة الموحديّة ؛ نظراً لتقلص رقعتها،وارتفعت الأسعار،خصوصاً في عهد الخليفة المستنصر،

---

[١]- علي بن إسماعيل ابن حرزهم الفاسي : كان أديباً فاضلاً ورعاً زاهداً متقشفاً ... كان معظماً للعلم ، موفيه حقه ، توفي سنة٥٥٩ (المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة،١٩٧٤، ص٤٦٤-٤٦٥

[٢]- عثمان بن عبد الله السلالجي ، كان إماماً عالماً محصلاً ، إمام أهل المغرب في الاعتقادات ، أخذ عن ابن حرزهم، توفي ٥٦٤، (المكناسي : جذوة الاقتباس" مصدر سابق" ٤٥٨)

[٣]- شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات –الجزائر–المغرب–موريتانيا–السودان ،القاهرة : دار المعارف ، ط١، ١٩٩٥، ص ٣٢٦

[٤]- شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات،(المرجع السابق) ص٣٢٦ ، وقد وردت هذه القصة عن الزاهد محمد بن إبراهيم المهدوي الفاسي في كتاب الأنيس المطرب في روض القرطاس لابن أبي زرع، ص ٢٧٠، وتكملة القصة أنه كان من أهل العلم والفضل والعمل والزهد في الدنيا ، دخل مدينة فاس بأربعين ألف دينار أنفقها في سبيل الخير.

واشتد الجوع بالناس،وكثرت الأوبئة،واستفحل المرض،ووقع ركود في حـــركة الموانئ والمراكز ، وعمت الفوضى، "وانهارت العملة"،وقد أدخل الموحدون عملتين جديدتين لتغطية النقص هما: الدينار المزدوج ، والدرهم المزدوج ، وأصبح الدينار الموحدي يساوي نصف الدينار المرابطي" "[١]"؛وأدى هذا "إلى الغلاء والجوع والحرمان مما دعا الدولة الموحديّة إلى فرض الضرائب والتي أثقلت كاهل المواطنين،وأدخل الظلم على فئات المجتمع. " "[٢]"

وقد دام حكم الموحدين نحو مئة وثلاثين سنة استطاع بعدها ملوك النصارى في الأندلس قهرهم وإخراجهم من الجزيرة والاستيلاء على أكثر إماراتها."[٣]"

---

[١]- نور الهدى الكتاني: مقدمة الديوان،ص٢٣

[٢]- انظر فوزي سعد عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعيّة، ١٩٩٦ ص٤٦

[٣]- انظر جودت الركابي : في الأدب الأندلسي (مرجع سابق)،ص٢٩

الفصـــــل الأول

حياة ابن الصباغ الجذامـــي

اسمه ونسبه ونشأته:

هو محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامي ، "وينسب إلى جُذام بضم الجيم وفتح الذال المعجمة وفي آخره الميم، وهم قبيلة من اليمن،وجذام هو الصدف بن أسلم بن زيد بن حضرموت ""[١]" ومن جُذام" روح بن زنباع وزير عبد الملك" "[٢]"

وذكِر ابن الصباغ بهذا الاسم في أزهار الرياض للمقري،وقد أورد له مجموعة مختارة من شعره وموشحاته في المديح النبوي" وقد وصفها أنها نخب"."[٣]"

أما عن أصل الشاعر فإن المصادر لاتورد شيئاً كثيراً عنه ،كما أنها لا تذكر شيئاً عن البلد الذي كان يقطنه، ولم يوضح المقري هل ابن الصبّاغ مغربي أو أندلسي، لكن يرجح أن الشاعر مغربي؛ فقد ذكر في ديوانه المغرب ولم يذكر الأندلس ، يقول :

مُحبٌّ بَرَاه الشَّوقُ بالمَغْرب الأقصَى ينَادِيكُمُ ريشُوا جَنَاحِي فقَدْ قُصَّا "[٤]"

شوقي ضيف في كتاب عصر الدول والإمارات يقول:" ونفس تكفيره عن موشحة ابن خزر البجائي يدل أو يؤكد أنه مغربي" "[٥]" .

والدارس لديوان ابن الصباغ يجد أن الشاعر قد أفاض الحديث عن حياته ،حيث يكثر من الحديث عن العمر الطويل وضياعه، والشيب وحلوله ،والهرم والتقدم بالسن ،وأنه يحن إلى حياته السابقة في شبابه ؛ فهي أفضل من حياته في أواخر عمره وهذا كله قد جعله يتحسر على تلك الأيام ،وقد كان العيش فيهـــا خصباً مريحاً ،ولكنه الآن أصبح عيشه مجدباً، يقول:

مَا كَانَ أرْغَدَ عَيْشِ أيَّامٍ بهَا سَلَفَتْ وَوَقْتٍ بالمَسَرَّةِ يُقطـــَعُ

---

[١]- ابن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، ،بيروت:دار صادر،ط١، ١٩٨٠، ج١، ص ٢٦٥

[٢]- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، بيروت ، دار الكتاب العربي ،١٩٨٣ ،ج٣، ص٤٠٢

[٣]- المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ،تحقيق سعيد أحمد أعراب ومحمد تاويت، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي في السعودية والإمارات ، الرباط ، ١٩٧٩ ٢/٢٣٠-٢٥٠

[٤]- الديوان : ص ١٣٣

٥- شوقي ضيف:عصر الدول والإمارات ، (مرجع سابق) ،ص ٣٨٦

إذْ كَانَ رَوْضُ العيشِ غَضّاً يَانِعاً ولَنَا مَقِيلٌ فِي ذرَاهُ وَمَرْبَــعُ"[١]

وفي موشحة يذكر فيها تقدم العمر ، وحلول المشيب ، والحنين إلى الأيام السابقة ، والبكاء عليها ، يقول:

زَهْرُ مَشِيبِ المفَــارِقْ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الكِمَــامْ

فَابْكِ الزَّمَانَ المُفَارِقْ وَحَاكِ فِي النَّوْحِ الحَمَامْ "[٢]

ويظهر الألم والتأسف على الأيام السابقة، ويتحسر على التقصير الذي كان منه ،وان الأيام لا تعيد ما مضى ، ويدعو نفسه إلى اغتنام ما بقي من عمرة في أداء الطاعات :

أسَفِي عَلى سَاعَاتِ عُمْرٍ قَدْ خَلَتْ هَيْهَاتَ لو كانَ التَّأَسُّفُ يَنْفَعُ

يَا نَفْسُ دُوبي حَسْرَةٍ وَتَلَهُّفــــاً ولّى الشَّبابُ وَمَا مَضَى لايَرْجِعُ

فاسْتَدْرِكِـــــي بالحزْمِ مِنْكِ بَقِيَّةً إعْلامُ مَرْبَعِهـــــا خَلاءٌ بَلْــقَعُ "[٣]

ومن تخميسه الذي يصف فيه كبر سنه ، وضعفه ، وتبدل أحواله ، وتقصيره في العبادة والطاعة، واتباعه الهوى قوله:

ولّى الشبابُ وقدْ ضَعُفْتُ عن القُوى غُصْنِي وقد أضحى نَضِيا"[٤]" قد ذوى

ولذاك لهفُ تأسفي قلبي كــوى وأنا مُقِرٌ بالتوانـــــي والـــــهوى

فإلى متى والى متى لا أرجعُ"[٥]"

وهاهو يتمنى أن يعود الزمان ، وتعود أيــام الشباب التي لم يحقــق فيها هدفه،فالشيب قد ظهر في فوديه،ويصف نفسه كالنار من شدة الحزن،ودموع عينيه دائمة الجريان،فيقول :

لَهْفِي عَلى عُمرٍ مَضَى والشَّيْبُ في الفوْدِ بــدا

ومافَضَـــيْـــتُ الغَرَضا

---

[١]- الديوان: ص١٩٥
[٢]- نفسه: ص٢٤٦
[٣]- المصدر السابق : ص١٨٣
[٤]- نضيّا : ذهب لونه
[٥]- الديوان : ص٢٣٠

أيامُ رَيعَانِ الشَّبابْ ولّتْ ولم تنـــو الإيابْ

فنارُ حُزني في التهابْ ودمعُ عيني في انسكابْ

يا عهدَ أيام الرِّضـــا هل رجْعَةٌ تَشْفِي الصَّدى

حـــقـــًا وتنفي المرضـــــا"[١]"

فالشاعر دائم التحسّر على ما فاته من أيام ، وما أحسّ به من تقصير في أداء واجباته الدينية ، ويتمنى لو تعود تلك الأيام فيعوض ما فاته."[٢]"

أما عن أسرته وأهل مودته،فإننا لانكاد نعثر إلا على شيء قليل من الأشعار يذكر فيه أسرته وأحبابه _ كما هو الحال في الحديث عن حياته_ وليس هناك إلا بعض الأبيات يذكر فيها مصيبته في أهله وولده وأنه قد ابتلي بفقدان الأحبة والولد ، يقول :

عجباً لقلبٍ لا يزالُ مروعاً في كُلِ يَوْمٍ بالفِراقِ وَمَا ارْعَـــوَى

في كُلِ يَوْمٍ فقْدُ أحْبَابٍ لقدْ أمْضَى النَّوَى في أهْلِ وُدِّي مَا نـــوَى

يا ويحَ مُلتهبِ الجَوَانِحِ حَسْرةً في قَعْرِهِ بَحْـــــرُ النَّسوُف قدْ هــوَى

ظَمْآنُ قدْ رَوّى الثَّرى بِدُمُوعِهِ أسفاً على بعدِ الدِّيــار وما ارْتــوى"[٣]"

يظهر من الأبيات السابقة أن الشاعــر قد ابتلي بفقد الأحباب ، وأهل المودة والقربى ،ويظهر أنه كان بعيداً حين فقدهم، وأن هذا الفقد قد تكرر غير مرة وهو واضح في قوله: في كل يوم فقد أحباب.

وقد عانى الشاعر من تنكر الأعوان له ،فهم قد خذلوه في حياته ؛ فابتعــدوا عنه، وأصبح بعيدا عنهم، وعن وطنه وقد أثر هذا البعد في نفسه وجسمه ،فقد أحدثت هذه المصائب رسما في خده من شدة البكاء، يقول :

لمّا هَجرْتم واصلتْ أشْجَانُه وتجددتْ ببعادكم أحزانه

---

[١]- الديوان : ص ٢٦٨

[٢]- نفسه: ص١٢٨ ،١٢٩، ١٤١

[٣]- المصدر السابق : ص١٢٥

لايعرف الشوقَ المبرحَ والجَوى إلا مُعنّى ضرّمت نيرانه

رسمتْ بلابلهُ بصفح فؤاده رسماً بصفحةِ خدّه عنوانَه

بانت أحبتُه وبان عزاؤهُ وتنكَّرت في عينهِ أوطانُه

لايستقر على النَّوى متلهفٌ خذلتهُ فيما قد نوى أعوانُه"[١]"

وفي موضع آخر فإن الشاعر يصف حاله وقد بات مكتئباً،ودموع عينيه غدت مثل الطوفان،ويتمنى أن يعيد له الزمان عهوداً مضت، ويجمع شمله مع أحبته ويعود شمله كالسلك الذي انتظمت حباته،فيقول :

يا ويحَ مُكْتئبٍ يَبْكِي ٱلذِي فاتَهُ أنهارُهُ أدْمُعٌ تَنْهَلُّ طُوفانا

تُرى الزَّمانُ لهُ يُدْنِي أحِبتَهُ فينظمُ الشّملُ سِلْكاً مِثْلَ مَا كَانا

علّ الليالِي تُعيدُ الشَّمْلَ مُشْتَمِلاً فكَمْ أذابَ النّوَى بالبُعْدِ أشْلانا "[٢]"

ويبدو أن صحة الشاعر قد اعتلت ،فهو يحسّ بالتقصير الذي بدر منه في شبابه، كما ويظهر أن الشاعر قد توفي بعد أن طعن في السن،وأنه يشكو من كثرة التسويف،ولم يرشده إلا الهرم ،فيقول في إحدى موشحاته :

ولّتْ الأيَّامُ بالعُمُر وَأنَا مِنْ ذَا عَلى خَطَر

قِصّتِي مِنْ أعْجَبِ العِبَر كُلمَا أوْغَلتُ بالكِبَر

زَادَ تَسْويفِي فَمَنْ مُرْشِدِي إنْ أنَا لَمْ يَنْهَنِي الهَرَمُ"[٣]"

---

[١] – الديوان: ص ١٤١

[٢] – نفسه: ص١٧٣، واشلانا أصلها أشلاءنا خففت للضرورة الشعرية

[٣] – المصدر السابق : ص ٢٥١

ثقافتـــــــة:

إن ابن الصباغ الجذامي شاعرٌ مثقفٌ ،تعددت عناصر ثقافته فهي تجمع بين دينية، وأدبية،وجغرافية...الخ.

ففي الناحيّة الدينية نجد أن الشاعر يذكر في قصيدة مطولة العشرة المبشرين بالجنة ،فيذكر الخلفاء الراشدين ، ويذكر بعضاً من أوصافهم ؛ فيذكر أبا بكر "[١]" صـــاحب الرسول عليه السلام في الغار،وقد أنفق أمواله في الهجرة، يقول :

فَالأَوْحَـــدُ الصِّدِّيقُ أَوّلُ مَاجِـــدٍ أَسْدَى النَّوَالَ وآثَرَ الإِيثَارَا

هو صَاحِبُ المُخْتَار في أَزْمَانِهِ ثَانِيهِ يَوْمَ ثَوَى فَحَلَّ الغَارَا "[٢]"

كذلك ويذكر فضائل الفاروق عمر بن الخطاب "[٣]" ؛ وقد جرّد سيفاً يفتح الأقطار والأمصار.

عَدِّد عُلى الفَارُوق واذكُـرْ فَضْلَهُ فَـيَهِ مَنَار هُدَى الأَنَامِ أَنَارَا

للحَقِّ جَرَّدَ صَارِمَاً يَقْرِي الطُّـلى فاسْتَفْتَحَ الأَقْـطَارَ والأَمْصَارَا "[٤]"

ويتحدث عن الخليفة الراشدي عثمان بن عفان "[٥]" الذي وصف بالحياء الجمّ ، ولزوم التهجد والبكاء الشديد ، يقول :

وَامْدحْ شَهِيدَ الدَّار عُثْمَانَ الَّذِي لزِمَ الحَيَاءَ مَهَابَةً ووَقَارَا

ولَطَـــالمَا لبِسَ الظَّـــلامَ تَهجُّداً والدَّمْعُ يَهمِي سَحُّهُ مِدْرَارَا "[٦]"

---

[١]- عبد الله بن عثمان بن عامر ...ولد بعد مولد النبي عليه السلام بعامين ... وكان أول من آمن بالرسول من الرجال ، تولى الخلافة بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى ،توفي سنة ١٣هـ (حمزة الفقير : العشرة المبشرون بالجنة ، عمّان : دار الإسراء ، ط١، ١٩٩٥، ص٧، ١٦)

[٢]- الديوان : ص١١١

[٣]- عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ...ولد قبل البعثة النبويّة بثلاثين سنة ...أسلم في السنة السادسة من النبوة ، كان جريئاً مقداما ... أوصى له أبو بكر بالخلافة ...استشهد سنة ٢٣هـ، (حمزة الفقير : العشرة المبشرون بالجنة "مرجع سابق" ص٨-٢٥)

[٤]- الديوان : ص ١١١

[٥]- عثمان بن عفان بم أبي العاص ... ولد في الطائف في السنة الخامسة من ميلاد الرسول عليه السلام... كان أشدّ الناس حياءً ...وكان جواداً ، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب .. توفي سنة ٣٥هـ(حمزة الفقير : العشرة المبشرون بالجنة" مرجع سابق"ص ٢٧-٣٧)

[٦]- الديوان : ص١١٢

ويعدّد أوصاف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبا الحسن "[١]، ويصفه بالأسد في المعارك ،يقول:

واذْكُرْ إمَامَاً خَلَّصَتْ أوْصَافُهُ نَقْدَاً فَرَاقَ نُضَارُهَا النُّظَّارَا

أعْنِي أبَا الحَسَنِ ابن عَمِّ مُحَمَّدٍ صِهْرَ النَّبيِّ الفَارسَ الكرَّارَا

أسَد الخُطُوبِ إذَا الفَوَارِسُ فِي الوَغَى هَزُّوا القواضِب والقَنَا الخَطَّارَا "[٢]"

كذلك فإنه يذكر الصحابة الآخرين المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم ، ومنهم طلحة "[٣]"، وسعد بن مالك "[٤]"، والزبير بن العوّام "[٥]"، وأبو عبيدة عامر بن الجراج "[٦]"(أمين الأمة) ، وعبد الرحمن بن عوف "[٧]"، وسعيد بن زيد "[٨]"، وهم الذين نصروا الدين ، وحازوا مراتب الكمال

وكذَاكَ طَلْحَةُ ثُمّ سَعْدٌ والزُّبَيـ رُ لِدِينِ أحْمَدَ أصْبَحُوا أنْصَارَا

وأبَا عُبَيْدَةَ وابْنَ عَوْف فامْتَدِحْ وَسَعِدَ قَدْ حَازُوا الكَمَالَ فَخَارَا "[٩]"

ويظهر في الديوان إشارة إلى أيات من القرآن الكريم ،ففي قصيدة له عن ليلة يشير إلى ليلة القدر ، يقول :

---

[١]- هو علي بن أبي طالب، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولد في مكة المكرمة في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد الرسول عليه السلام ... أبلى في الإسلام بلاءً عظيماً منذ طفولته ... تولى الخلافة بعد عثمان ومكث فيها أربع سنين وسبعة أشهر(حمزة الفقير : العشرة المبشرون بالجنة" مرجع سابق" ص٣٨- ٤٩)

[٢]- الديوان : ص١١٢

[٣]- طلحة بن عبيد الله ،شهد مع الرسول المشاهد كلها...سماه الرسول طلحة الفيّاض وطلحة الخير لكرمه وجوده (حمزة الفقير العشرة المبشرون بالجنة " مرجع سابق" ص٥٧-٥٩

[٤]- سعد بن مالك بن وهيب... ولد سنة٢٣ ق هـ ...حضر المشاهد مع النبي... توفي سنة ٥٥هـ(حمزة الفقير :العشرة المبشرون بالجنة " مرجع سابق" ص٦١-٦٨)

[٥]- أسلم وعمره ثماني سنوات ...هاجر إلى الحبشة والمدينة ... أول من استل سيفا في سبيل الله ... شارك في كل المواقع مع النبي ... لقب بحواري رسول الله ... استشهد سنة ٣٦هـ(حمزة الفقير : العشرة المبشرون بالجنة " مرجع سابق" ص٥١-٥٥)

[٦]- عامر بن عبد الله الجراح ... من السابقين إلى الإسلام...شهد جميع المشاهد ... مات سنة ١٨هـ (حمزة الفقير :العشرة المبشرون بالجنة " مرجع سابق" ص٦٩-٧٦)

[٧]- ولد بعد عشرة أعوام من مولد النبي عليه السلام ... شهد المواقع مع النبي كلها ... توفي سنة إحدى أو ثلاث وثلاثين للهجرة(حمزة الفقير : العشرة المبشرون بالجنة " مرجع سابق" ص٧٧-٨٣)

[٨]- سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل...شهد المشاهد مع النبي... كان مجاب الدعوة...توفي سنة خمسين أو إحدى وخمسين(حمزة الفقير : العشرة المبشرون بالجنة " مرجع سابق" ص٨٥-٨٧)

[٩]- الديوان: ص ١١٢

وَقومٌ عَلى بَابِ الكَرِيمِ وُقُوفُهُمْ يُنَاجُونَ مَولاهُمْ قِيَامَاً إلى الفَجــرْ"[١]

ويلمس الدارس لديوان ابن الصباغ إشارات واضحة إلى الحديث النبوي الشريف،وهو يتحدث عن القيامة وهو صاحب الشفاعة والوسيلة:

له الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الحَشْرِ قَدْ وَهَبتْ والنّاسُ ضَمّهُمُ الأهْوَالُ والوَجَلُ

هُوَ الذِي فَخْرُهُ قَدْ فاقَ كُلَّ عُلاً فَمَالَهُ فِي الوَرَى نِدٌّ وَلا مِثْلُ "[٢]

ونجد لدى ابن الصبّاغ شاعريّة واسعة فنراه يجيب سائليه بأبيات شعريّة مباشرة ،كقول الناسخ:" وسأله بعض المزمزمين أن يذيل على هذه الأبيات:

ألا عَرِّجْ بِذِي سَلَم "[٣] وَقِفْ بالرَّبْعِ واستَلِم

فَتِلْكَ الدَّارُ مِنْ سَلْمَى بِهَا قَدْ كَانَ مُلْتَزَمِي

يحَقِكَ لَدْ بِرَبعِهِـمُ وَحيِّهِمْ عَلى العــلَم "[٤]

فذيّل على هذه الأبيات الثلاثة بالقصيدة التي مطلعها البيتين الآتيين:

وَنَادِ بِهِ وَدَمْعُ العَيْـــــــ ـن فَوْقَ الخَدْ كالدِيَم

ألا يَا رَبْعُ هَلْ يقضَى بِشَمْلٍ فِيكَ مُنْتَظِمِ

فقد كان الشاعر يقوم بنظم القصائد على بعض الأبيات التي يطلب إليه تذييلها. وأكثر الأبيات التي يذييلها لايعرف قائلها.

وقد خمّس ابن الصباغ قصائد من شعره ، ومن أشعار غيره،والأغلب أن القصائد التي يخمّس عليها لايعرف لها قائل،واكتفى الناسخ بقوله هي لبعض الصالحين.ومن هذا التخميس

---

[١] – الديوان:ص١٨٩، وهي إشارة إلى وقت ليلة القدر حتى مطلع الفجر ، فهي إشارة إلى قوله تعالى: (سلام هي حتى مطلع الفجر) سورة القدر أية ٦

[٢] – الديوان : ص١٨١وهو إشارة إلى الحديث(أنا سيد ولد آدم ولا فخر وآدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة أنا خطيب الأنبياء اذا وفدوا وإمامهم اذا اجتمعوا وحينئذ فلا يختص آدم بإضافة ذنبه إلى محمد بل تجعل ذنوب الأولين والآخرين على قول هؤلاء ذنوبا له فان قال إن الله لم يغفر ذنوب جميع الأمم قيل وهو أيضا لم يغفر ذنوب جميع أمته) ابن تيمية : الفتاوى – مكتبة ابن تيمية ١٣٩٨هـ ١٤٠٣، ٣١٥/١٠

[٣] - ذو سلم : وادي سلم بالحجاز ، وذو سلم وادٍ ينحدر عن الذنائب والذنائب في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة. ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت : دار الكتاب ، المجلد الثالث، ص٢٤٠

[٤] التذيل على هذه الأبيات في القصيدة ٣٤ مما لا يعرف قائلها وتنمزيد انظر الديوان القصائد ٤٧ ،٩٠٠، والتذيل أن يقوم الشاعر بنظم قصيدة أو بعض الأبيات على أبيات تعطى له.

بَانَ الخَلِيطُ وَقَدْ خُلِّفْتُ واحَزَنَا ياحَادِيَ الظُّعْنِ قَطِّعْتَ الفؤادَ ضَنَى

فَازُوا بأمْنٍ ويُمْنٍ والهَوى مَلِكُ "[١]"

كذلك فأن الشاعر كان يخمّس أشعاره الخاصة ،ومنه قوله :

كَمْ ذَا تُعَامِلُ بالوَفَاء فَتَنْقَضُ كَمْ ذَا التَّكاسلُ والحَبِيبُ يُعَرَّضُ

نَادَاكَ وَهْوَ على الوصَالِ يُحَرِّضُ حَتَى مَتَى عَنّا تُصَدُّ وَتُعْرِضُ

هَلاَّ إلى نَفَحَاتِنَا تَتَعَرَّضُ "[٢]"

فهي تخميس لقصيدته التي مطلعها .

حَتَى مَتَى عَنّا تُصَدُّ وَتُعْرِضُ هَلاَّ إلى نَفَحَاتِنَا تَتَعَرَّضُ "[٣]"

ومن ملامح ثقافته التي تظهر في ديوانه الشعري تضمينه الأمثال العربية في شعره، كقوله :

فقد ضمّن المثل " لكل داءٍ دواء "

بي فافْعَلَنْ مَا تَشَاءُ إنْ صَحَّ مِنْكَ الرَّجَاءُ

" لكُلِّ دَاءٍ دَوَاءُ" وكلُّ رَأي مُسَدَّد

وَكُلِّ أمْرٍ مُرَشَّدْ"[٤]"

كما أن الديوان يزخر بالكثير من المواعظ، والحكم؛والتي تنم عن ثقافة ، وحسّ مرهف،وفي الحكمة قوله:

ألا إنَما الدُّنْيَا متاعٌ لأهْلِها فأولها حرصٌ وآخرُها تركُ"[٥]"

كما تظهر حكمة أخرى ، وهو يتحدث عن الزمان وغدره :

لا تَأمَنَنْ حَدَثَ الزَّمَانِ وَخَطْبَهُ إنَّ الزَّمَانَ حَوَادِثٌ وَخُطُوبُ "[٦]"

---

[١]- الديوان: ص٢٣٣

[٢]- نفسه:ص ٢١٣، وانظر ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧

[٣]- المصدر السابق : ص ١٤٤

[٤]- الديوان: ص ٢٥٣(الميداني: مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار المعرفة، ١٩٥٥، ٢٥٨/٢)

٥- نفسه: ص١٥٨

[٦]- المصدر السابق : ص١٩٣

وتظهر في الديوان الكثير من المصطلحات الصوفية ؛ والتي نراها منتشرة في ثناياه ، وهذه تشير إلى الشاعر من أهل الصوفيّة ،وسنقف عند هذه المصطلحات عندما نتحدث عن الشعر الصوفي، يقول :

وإذا سكرتَ بخَمْرَة الحُبِّ التي ... تُهدي السُّرورَ وتُذهبُ الأتراحا

ولتَتْكرها قهوةً تشفي الجَوَى ... وتعيدُ أحْـــــزانَ الورَى أفْراحَا

من كرمةِ التكريم قدْماً كونت ... فاشْرَبْ بها كأسَ الوصالِ مُبَاحَا"[1]"

وقوله في احدى موشحاته وهو يذكر الغيبة والشهود ؛ وهي من مصطلحات الصوفيّة:

سَمـــاعُ لحْنِ الوُجُودْ ... عَنْهُ نَنَا فَهْمُ العُقولْ

فَغَيْبَةٌ وشُهُـــودْ ... كلاهُمَا عَيْنُ الدَّلِيلْ "[2]"

نلاحظ من خلال الديوان أن ابن الصباغ كان من الصوفيين ،أو ربّمـــا كان قريباً منهـــم ويبرز في شعره الكثير من المصطلحات الصوفيّة، كما أنه يذكر حقيقة يؤمن بها الصوفيون وهي الحقيقة المحمدية ،فهو صوفيٌّ سنيٌّ جمعيٌّ يدعو الى عبادة الله عز وجل وترك كل ما

مَنْ كَانَ فِي غَيٍ وَطُولِ بِطَالَةٍ فَلْـيِنْتَبِـهْ هـَذَا أوَانُ رَشَـادِهِ

خَدِّد بِدَمْعِ العَيْنِ خَدَّكَ فِي الدُّجى وَاضْرَعْ لَه يَكْفِيـكِ طُولُ بِعَـادِهِ

كَمْ سَاهِرٍ قَدْ نَالَ فِيهِ مُـرَادَهُ لَـكِـنْ بِطُـولِ بُكَائِـهِ وَسُهَـادِهِ

مُتَهَجِـداً فِي الذِّكْرِ فِي مِحْرَابِهِ يَحْـكِي حَمَامَ الأيْـكِ فِي إِبرَادِهِ"[1]"

وفي قصيدة أخرى في فضل شهر رجب، يؤكد على ذات المعاني، يقول :

هَجَرَ المَنَامَ وَبَاتَ يَشْكُو حُزْنَهُ وَبِطَيِّ أحناءِ الضُّلُوعِ جَهَنَمُ

هَذَا هُوَ الحزْمُ الَّذِي يُرْضِيهِ لا مَنْ بَـاتَ فِي لِينِ الفِرَاشِ يُنعَّـمُ"[2]"

كذلك فانه يؤكد أنه قد ترك امتداح العالمين من: ملوك وأمراء ، ووجه مدحه إلى خير الخلق،الذي يعده الكهف الحصين والحرز المكين، ويتمنى من خلال هذا المدح أن يعتق من نار جهنم ، فيقول :

تَرَكْتُ امْتِدَاحَ العَالَمِينَ وَلُذْتُ مِنْ مَدَائِحِ خَيرِ الخَلقِ بِالعُرْوَةِ الوُثقَى

سَأَجْعَلُها كَهْفِي وَحِصْنِي وَمَلْجَئِي لعَلِي بِالأمْدَاحِ أسْتَوْجِبِ العِتقَا

وَأَشْدُو بِهَا فِي كُلِّ نَادٍ مُرَدِداً أطَارِحُ فِي شَجْوِي وَأَشْجَانِيَ الوُرقَا"[3]"

وتظهر معالم ثقافته في ارتجاله الأشعار ، وإجابته بالشعر عن أبيات يلقيها عليه بعض من كان يحضر مجلسة ، وفي الحال يجيبهم بقصيدة في نفس المعنى، كقول الناسخ في تقديمه لإحدى القصائد:

"وله عفا الله تعالى عنه يذييل على هذين ، ومن الأمثلة على تذييله لبعض القصائد كقول أحدهم:

هَجَرُوا المَضَاجِعَ والتَّنعمَ والهَوَى قَامُوا عَلَى قَدَمِ المَتَابِ الأحْمَدِ

---

[1]- الديوان: ص ١٤٥

[2]- نفسه: ص ١٥٣

[3]- المصدر السابق : ص ١١٨

طَرَدُوا المَنَامَ عَن الجفون وأيقظوا جفنَ السُّهادِ إلى الإله الأوْحدِ"[١]"

وقد ذيّل الشاعر على هذين البيتين بالقصيدة الآتية ،ولا يعرف قائل البيتين السابقين

سَـــحّوا المَدَامِـــعَ ثرةً إذْ أيقنوا أن انْسِكابَ الدَّمْعِ أخذٌ باليد

لم يخلصوا سبقاً إلى درك العلا إلا وقد هجروا لذيذ المرقد"[٢]"

كذلك نجد معرفة الشاعر الواسعة بالأماكن الحجازيّة فهو يعدّد أسماءها ، ويبرز توقه إلى زيارتها والتنعم بالمقيل في أفيائها ،وسيأتي ذكر بعضها في الصفحات القادمة.

مما سبق نجد أن الشاعر ابن الصباغ على قدر من الثقافة ،وتبرز جوانب هـذه الثقافة في النواحي الدينيـة ، فهو يقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف،ويورد عدداً من معجزات الرسول ﷺ، كما أننا نلاحظ من جوانب ثقافته إيراد الأمثال والحكم والمواعظ الشعرية.

ولا ننسى من معالم ثقافته اطلاعه على أشعار القدامى ،ونجده قد خمّس عدداً من قصائد القدماء، كذلك وقد كان يذيل على أبيات شعرية يطرحها عليه جلساؤه ،فينظم قصيدة على بحرها وقافيتيها .

رحلاتـــــه:

يلاحظ أنّ ابن الصباغ يكثر من الحديث عن الفراق والبعد، وقد يكون السبب في هذا البعد عن الأماكن المقدسة ،فهو يظهر حنيناً لتلك الديار .

ويمكن تقسيم الرحلات التي قام بها ابن الصباغ إلى نوعين؛ الأول: الرحلات الروحية التي تحدّث عنها من خلال رحيل الأحباب: كالرسول ﷺ وهي رحلات تتميز بالعاطفة الشديدة نحو المحبوب ، والنوع الثاني : وهي الرحلات المادية التي قام بها الشاعر وانتقل إلى موضع آخر، ،أو رحيله إلى الأماكن المقدسة .

---

[١]- الديوان : ص ١٨٩

[٢]- نفسه: القصيدة ٧٣، ص ١٨٩ والتذيل أن ينظم الشاعر بعد الأبيات المذيل عليها قصيدة على نفس البحر والقافية

ويظهر الشاعر في هذه القصيدة الألم والحسرة التي تعتصر قلبه، وهو بعيدٌ عن بلاد الحبيب عليه الصلاة والسلام ،ويصف ليالي البعد التي تزيده كلّ يوم ذلٍّ ومهانة، وفيها تظهر بعض الألفاظ الصوفيّة .

مُحِبٌّ بَرَاهُ الشّوْقُ في المَغْرِبِ الأقصَى يُنَادِيكُمُ ريشُوا جَنَاحِي فَقد قَـصَّا

سَـــقتهُ الليَـــــالِي كأسَ ذلٍّ ومهنةٍ فأصْبَحَ لاقبْض"[١]" لدَيهِ ولاقبْصَـا"[٢]"

يَزيدُ ينقـــص العُمْر ضَعْفا وَشَيبَـــةً وَتِلكَ زِيَادَاتٌ تُكسِّبُـــهُ نَقصَـا"[٣]"

فالشاعر في الأبيات السابقة يؤكد على الحالة النفسيّة التي يعيشها ببعده عن ديار المحبوب وهو الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام

وفي قصيدة أخرى يبين أن الرحيل والفراق يطاردانه في كل وقت وحين ، وأن الفراق هنا قد يكون لأحبابه وأهل مودته،فهو يشكو من فقدهم وقد يكون بالموت أو غير ذلك من مصائب الدنيا ،وقد يكون هذه كلّه برحيله عنهم،فيقول:

عجـــباً لِقلبٍ لايَزَالُ مُرَوَّعـــــا فِي كُلِ يَوْم بالفرَاق وما ارعوى

في كُلِ يَـــــوْمٍ فقدُ أحْبَـــابٍ لقدْ أمْضَى النَّوَى فِي أهْلِ ودي ما نوى

ظمـــآنُ قد روّى الثرى بدموعِـــهِ أسفاً علـــى بُعْدِ الديار ومـــا ارتوى"[٤]"

وفي قصيدة أخرى يتذكر أيام الصبا التي مضت،فتنزل دموعه غزيرة على خده،ويتمنى أن تعود تلك الأيام فيقول :

لا كَانَ دَهْرٌ بالبعَادِ قدِ انْقضَى فالحُزْنُ مَوْصُلٌ عَلِيهِ يُفِيدُ

سَاعَاتُ عُمْرٍ ضَرَّمَتْ حَسَرَاتُهَا نَاراً لَهَا بَيْنَ الضلُوع وُقُودُ"[٥]"

---

[١]- القبض :مصطلح صوفي : أمر يطرق القلب يمنعه عن الانبساط والفرح، (ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق محمد حامد الفقي، ج٣، ص٢٩٥

[٢]-القبض :عكس القبض .

[٣]- الديوان : ص ١٣٣

[٤]- نفسه : ص ١٢٥

[٥]- المصدر السابق : ص ١٢٩

ومن معالم ثقافة ابن الصبّاغ إكثاره من ذكر الأماكن الحجازية في ديوانه، ومن هذه الأماكن :رامة"[١]"،والمنحنى ، والزوراء "[٢]"،والملتزم ،والمحصّب"[٣]" ،ووجرة "[٤]" ،وغيرها من الأماكن التي ترد في الديوان حيث يقول:

ألا عَرِّجْ بِذِي سَـــــلم وَقِفْ بالرَّبْـــــع واسْتلِمِ

فتلكَ الدَّارُ مِنْ سَـــــلمَى بهَــا قدْ كَانَ مُلْتَزمِـــي

بـِحَقِّـــكَ لـُذْ بربْعُـــهمُ وَحيّهـــمْ علـــى العَلَمِ"[٥]"

وفي قصيدة أخرى يذكر بعض من أسماء الأماكن الحجازية ،ويذكر وجده وشوقه إلى تلك الديار، ويتمنى أن يكون له مقام بها، يقول:

إذا ذَكَرَ العَقِيقَ وَسَاكِنِيهِ فَلِلدَّمْعِ انْهمَالٌ وانْسِجَامُ

وإنْ هَبَّتْ صبَا نَجْدٍ سُحَيْرَاً فَلِلأشْوَاقِ وَجْدٌ واضْطِرَامُ

ألا هَلْ نَهْلَةٌ مِن مَاء سَلْع فَيُشْفَى من غَلِيلِ ظَمَا أوامُ

أيا تلكَ المَعَاهِدُ هَلْ سَبِيلٌ فَيُمْنَحُ في ذَرَاكَ لَنَا مُقَامُ "[٦]"

لكن السؤال متى قام ابن الصباغ بزيارة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ؟. من خلال البحث والتنقيب في قصائد الديوان ، وجدت أن ابن الصباغ يتمنى أن يزور هذه الأماكن ، ويشكو من الزمان ، ويسأل الله أن يطيل في عمره حتى يقوم بهذه الزيارة ،ويلح كثيرا في التوسل بمن يزورها،وكلها تشعر أنه في أوقات شبابه لم يزر البلاد المقدسة ، ولكنه في قصيدة واحدة يقدّم لإحدى القصائد بقوله : " وهو يودع يثرب"، يقول:

قَطَعْتُ زَمَانِي بالتَّذكُّرِ والأسَى فلا عَيْشَةٌ تصْفُو وَلا دمْعَةٌ ترْقأ

---

[١]- رامة: من قرى (البيت المقدس بها مقام إبراهيم عليه السلام) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، بيروت : دار الكتاب العربي،ج٣، ص١٨

[٢]- ورد اسماً لعدد من الأماكن (بغداد ، موضع عند سوق المدينة) نفسه ، ج٣ ،ص١٥٦

[٣]- المحصّب : موضع رمي الجمار بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب، المصدر السابق ، ج٥، ص٦٢

[٤]- وجرة : قال الأصمعي : بين مكة والبصرة ، وبينها وبين مكة ٤٠ ميلاً. ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج٥، ص٣٦٢

٥- الديوان :ص ١٥٠، (ذي سلم) : موضع بين مكة والمدينة ،والملتزم من الأماكن المقدسة :وهو مابين الركن الذي فيه الحجر وباب الكعبة والعلم اسم جبل

٦- نفسه :ص ١٩٤-١٩٥

لئن قطعْتَنِي عن بُلوغِي لقبــْرِهِ قوَاطِعُ تُضمِينِي بأسْهُمِها رَشْقا

فمَا لِيَ مِنْ حَوْلٍ سِوَى الدَّمْعِ والأسَى عَسَى مُنْجِدُ السبّاق يعقبني لحقا"[١]"

وفي قصيدة أخرى يعبر عن مدى شوقه وحنينه لزيارة قبر الحبيب،ويذكر بعضاً من الأماكن الحجازية ،ويعبر عن الفرحة التي تغمره عندما يسمع ذكر الحبيب ؛ فيتمايــل طرباً،وفي نهاية القصيدة يظهر حسرته وألمه إذا لم ينعم بالزيارة، وأسفه إذا لم يكن له لقاء حضرة الحبيب عليه السلام :

لقدْ طالَ شَوقِي للحَبيبِ وقَبْرِهِ فيا ليْتَ شِعْري هَلْ يُتاحُ لِيَ اللقا

تَمِيلُ بيَ الأشْـــــوَاقُ حُبّاً لِذِكْرِهِ إذا مَا سَرَى بَرْقُ العُذيبِ وَأبْرَقا

وَيُطْرِبُني لحْنُ السَّـــــمَاعِ فأنْثني كَأنّيَ غُصْنٌ بالصَبابةِ أوْرَقَـــا

فوَا حسْرَتا إنْ لَمْ أفزْ بوصَـــالِهِمْ وواسفاً إنْ لم يَكُنْ لِي مُلْتَقَـــى"[٢]"

وفي مكان آخر يعبر عن مدى شوقه لزيارة الأماكن المقدسة،وزيارة قبر الرسول ﷺ وأنه سيقوم بتقبيل أخفاف الجمال إن هي بلّغته القبر الشريف، يقول:

فمتى يُقــــرِّب مَنْ بَرَاهُ شوقُهُ ومتى يُتاحُ إلى الحبيبِ وصُولُ

إن بلّغَتْنِي إلى الحَبيبِ رِكَائبي أو جدّ بي وَخْدٌ "[٣]" لهـــا وذميلُ "[٤]"

قبّلتُ أخْفَافَ المَطَايا شَـــاكِراً ويقلُّ في شُـــكرِي لها التقبيل"[٥]"

وكذلك يقول في قصيدة أخرى وفي ذات المعنى أن هذه المطايا إن أوصلته إلى قبر الحبيب و الذي يصفه بالمورد العذب أنه سيقبل أخفافها وأظفارها،ويبدلها عيشاً خصباً بدلاً من عيشها الجدب ، فيقول:

---

[١]- الديوان :ص ١١٩

٢- نفسه : ص١٣٦وللمزيد انظر:ص ١٤٦، ١٦٦

[٣]- الوخد : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو في المشي (ابن منظور: لسان العرب ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١، ٢٠٠٣ مادة (وخد) ..

[٤]- و الذميل : السير اللين البطيء نفسه ، مادة (ذمل)

٥- الديوان: ص ١٤٧

عَلَيَّ عُهودٌ للمَطـــايا وَثِيقَةٌ إذا أوْرَدَتْنِي ذلِكَ المَوْرِدَ العَذْبَـا

أقبِّلُ أخْفَافاً لَهَا وَمَنَاسِـــما وأبْذِلُها مِنْ جَدْبِ عيشَتِها خِصْبَا "[1]"

فالملاحظ أن الشاعر قد لا يكون من المحظوظين بالزيارة في وقت الشباب ،وإنما ذكره لهذه الأماكن في شبابه ليس إلا على طريقة شعراء الحجازيات ،والدليل كثرة القصائد التي يعبّر فيها عن شوقه إليها ، كذلك يظهر التوسلات الكثيرة بالنبي عليه الصلاة والسلام أن يطيل الله في عمره ويحقق غرضه في زيارة القبر الشريف .

كما تكثر في الديوان قصائد الحجازيات : وهي رسائل يبعثهـا الشاعـر إلى الجناب المقدس مع الراحلين إلى تلك الديار، وفي هذه الرسائل يصف فيها حاله ويتمنى أن تتاح له فرصة الزيارة إلى تلك الديار،كما أن الشاعر يبعث رسائل أيضا مع الرياح يخاطبها أن تبلّغ سلامه إلى أهل حبه ومودته،ويبثهـا ما في قلبـه من حب إلى تلك الديار، كما أنه يتعلل بمسرى الرياح واهتزازها ويسعى إلى تحميلها رسالة الارتياح، وفيها يصف حالـه فيقول:

هلْ في الرِّياح إلى الحَبِيبِ رَسُولُ فالقلبُ مُضْنَى والفُؤادُ عَلِيلُ

باللهِ يا ريحُ ابْلِغِي أهْـــلَ الحِمَى أنّ الجَوانِحَ حَشْوَهُنَّ غليلُ

يا نَازِحِينَ وَفِي الفُؤادِ خَيَالُـــهُم أمَدُ اللقَا هَلْ لِي إليهِ سَبِيلُ

مَالِي أرَى غَيرِي يَفُوزُ بِقُربِـكُمْ وَوصَـالُكُمْ مَالِي إليهِ سَبِيلُ"[2]"

مما سبق نلاحظ أن ابن الصباغ كان يتمنى أن يزور الأماكن المقدسة ،ولكن الظروف التي مرت به قد حرمته مما يتوق إليه،وقد يكون السبب وراء ذلك هو " بعد الديار الأندلسية عن المشرق ،وعجز كثير من الشعراء عن تأدية فريضة الحج ،وزيارة القبر المقدس،ممـا أذكى جذوة الحنين ،وقوى الشعور والرغبة،والأشواق منذ العهود الأولى. ويضاف إلى ذلك ما عاناه هؤلاء الشعراء من إبعاد عن موطنهم _ كما هو الحال عند ابن الصباغ _والذي

---

[1]- الديوان : ص ١١٧

٢- نفسه: ص ١٢٦ ، وللمزيد انظر :ص ١٦٢ ، ١٦٦

كان قد نزح عن موطنه بالأندلس إلى المغرب ،وأنّ تعاقب الليالي كان يزيده ذلة ومهانة وضعفا."[١]"

لكن الشاعر في قصيدة واحدة نجده يتحدث عن الأماكن الحجازية المقدسة ،وأنه قد زارها فعلاً وسعد بها ؛ فناسخ الديوان في تقديمه لإحدى القصائد يقول : وله عفا الله عنه في توديع يثرب وسكانها ، والشوق إلى قربها ، والتأسف على بعد جيرانها ، وهو مما يصدع القلب بشجواه:

يا جيرةً ودَّعُوا والقلبُ مُنْصَدِعُ هَلْ فِي اللِقاءِ على بعد المدى طـمعُ

رَاحُوا وَقَدْ أودِعَتْ أحْشَاؤُهُمْ حُرَقاً للهِ مَا أوْدِعُوا بالجِزْعِ إِذْ جَزَعُـــوا

دَارَتْ عَلَيْهِم كؤوسُ الدَّمْعِ مُتْرَعَة فِيهَـا حَنِينٌ لـهُ الأحْشَـاءُ تَنْصَدِعُ

عَنْ يَثْرِبَ رَحَلُوا وَكُلَّ رَاحِـلَةٍ فِيهَا حَنِينٌ لها الأحْشَاءُ تَنْصَـدِعُ"[٢]"

فالشاعر يردد في ديوانه الحديث عن الرحلة إلى الأماكن المقدسة، ويذكـر عدداً من أسمائها،إلا أنه في القصيدة السابقة يؤكد أنه قد زارها فعـلاً ، والدليل قول الناسـخ : " وهو يودع يثرب "،وأظن أنه إذا كان قد زارها في سنٍ متأخرة ، فالكم الهائل من القصائد حديث عن تمني الزيارة، أما الحديث عن الزيارة ففي قصيدة واحدة فقط .

وفاته:

لم تذكر المصادر التي تحدثت عن الشاعر شيئاً عن وفاته كما هو الحال في الحديث عن ولادته ، ويبدو أن صحة الشاعر قد اعتلت في أواخر حياته ؛ فهو يحسّ بالتقصير الذي بدر منه في شبابه، كما ويظهر أن الشاعر قد توفي بعد أن طعن في السن،وأنه يشكو من كثرة التسويف،ولم يرشده إلا الهرم ،فيقول في إحدى موشحاته :

وَلّتْ الأيَّامُ بالعُمُـــر وَأنَا مِنْ ذا عَلى خَطَر

---

[١]- فاطمة طحطح : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي،الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط١٩٩٣،١ ض ٣٠٥

[٢]- الديوان: ص ١٨٧-١٨٨

قِصّتِي مِنْ أعْجَبِ العِبَر كُلمَا أوْغَلتُ بالكِبَـــر

زَادَ تَسْـــويفِي فَمَنْ مُرْشِدِي إنْ أنَا لَمْ يَنْهَنِـــــي الهَرَمُ"[١]"

مصادر شعره:

ليست هناك مصادر كثيرة تحدثت عن الشاعر ابن الصباغ ،ويعد ديوانه الشعري هو الأثر الأكبر أهميـــة الذي يعرفنا بحيـــاته، ،أما ثاني هذه المصـــادر والذي ذكر شيئاً عن شعر الشاعـــر فهو زهر الكمام في قصة يوسف عليه الســـلام للأوسي فقد أورد لنا بعض القصائد من شعر ابن الصباغ لكنه لم ينسبها إليه ؛ وإنما قال: شعـــر في المعنـــى."[٢]"

وهناك كتاب نفح الطيب"[٣]" ، وكتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"[٤]"،وكلاهما للمقري، ويعتبران من أهم المصادر التي تعرفنا بابن الصباغ؛ حيث يورد لـــنا الأول بعض أشعـــاره ، وكذلك بعض المعلومات عن حيـــاته ، أما الثاني وهـــو الأكثر أهميـــة ؛ حيث يورد أربع قصائد واثنتي عشرة موشحـــة في المديح النبوي والتشـــوق إلى الحجـــاز ،وقد نسب أزهار الرياض كل الأشعـــار إلى ابن الصبـــاغ ، وكذلك هناك جذوة الاقتباس لابن القاضي ، وقد نسبت بعض هذه المصادر أشعاراً لابن الصبّاغ إلى غيره فقد: "نسبت القصيدة التي مطلعها

تَنَعَّمْ بِذِكْرِ الهَاشِمِي مُحَمَّدٍ فَفِي ذِكرِهِ العَيشُ المُهَنَّأ والأنسُ "[٥]"

إلى اليافعي (ت٧٦٨):"[٦]"

وكذلك فقد نُسبت القصيدة الآتية ، والتي مطلعها:

---

[١]- الديوان : ص ٢٥١

[٢]- الأوسي: زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام،تحقيق كمال الدين علام، بيروت: دار الكتب العلمية ،ط ١،٢٠٠٣،ص٣٤

[٣]- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق احسان عباس، بيروت : دار صادر ١٩٦٨فقد أورد أشعاراً ولم ينسبها للشاعر، ٤٣٨/٧

[٤]- المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، الجزء الثاني ص ٢٣٠-٢٥٢ وقد نسب الأشعار إلى الشاعر نفسه

[٥]- الديوان : ص ١١٩

[٦]- نور الهدى الكتاني :مقدمة الديوان : ص٤١-٤٢

مَرُّ النَّسِيمِ مَع الأسحَار يُشْجِينِي وَنَغْمَةُ الوُرْقِ في الأفْنَانِ تُفْنِينِي "[١]"

إلى الصفي الحلي "[٢]"

ومن الكتب الحديثة التي تحدثت عن ابن الصبـــاغ ، فهناك كتب في التوشيـــح ، وفي طليعتها كتاب فن التوشيح لمصطفى عوض الكريم؛حيث ذكر بعض موشحات ابن الصباغ وعلق عليها"[٣]" ، وهناك كتاب الموشحات الأندلسية لسيد غازي ، الذي أورد بعض موشحات الشاعر"[٤]"، وكتاب الشعر الأندلسي في عهد الموحدين لسعد فوزي عيسى ، الذي قام بإيراد بعض موشحات ابن الصباغ "[٥]"،وهناك كتاب الموشحات الأندلسيـــة لمحمد زكريا عناني"[٦]" وكذلك هناك كتاب الغربة والحنين لفاطمة طحطح"[٧]"، وقد أورد النبهاني مجموعة من القصائد للشاعر في المديح النبوي "[٨]" ولا ننس الجهود التي قام بها كل من الباحثة نور الهدى الكتاني ،ومحمد زكريا عناني وزميله في تحقيق الديوان .

---

[١]- الديوان: ١٣٦

[٢]-نور الهدى الكتاني :مقدمة الديوان : ص٤١-٤٢

[٣]- مصطفى عوض الكريم : فن التوشيح ،بيروت:دار الثقافة ، ط٢، ١٩٧٤،ص٣٤-٣٧

[٤]-سيد غازي:ديوان الموشحات الأندلسيّة،الإسكندرية :منشأة المعارف،١٩٧٩، ص٣٨٥-٤١٩

[٥]- فوزي سعد عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين،٠(مرجع سابق)، ١٩٩٦

[٦]-محمد زكريا عناني: الموشحات الأندلسيّة، مكة المكرمة ، ١٩٧٩،ص١١١- ١٧٠

[٧]-فاطمة طحطح: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي،(مرجع سابق) ، ص٣٠١ وما بعدها

[٨]- النبهاني : المجموعة النبهانيّة في المدائح النبويّة، جمعها يوسف بن إسماعيل النبهاني، دمشق : دار الفكر، ١٩٠٠، وتقع في أربع مجلدات ، وتضمّ ما يقارب (٢٥) ألف بيت لأكثر من مئتي شاعر، وقد رتبها على حروف المعجم منذ عصر الصحابة إلى عصره في القرن العشرين. (وقد وردت في صفحات متفرقة)

الفصل الثاني

موضوعات شعره

المديح النبوي:

يحتوي ديوان ابن الصبـــاغ الجذامي علـــى إحدى وتسعيـــن قصيدة موزعـــة على موضوعات متعددة : فالحجازيات : مثلاً تحتل مايقارب نصف عدد القصائد ، بينما للشاعر في المديح النبوي اثنتان وعشرون قصيدة، وفي الزهد تسع عشرة قصيدة، بالإضافة إلى قصائد في المناسبات الدينيّة كالمولد النبوي ،وله قصائد في الأشهر التي ترتبط بالمواسم الدينيّة مثل رمضان وربيع الأول ،و رجب، وشعبان ، وله مرثية واحدة في الجناب النبوي.

والدارس للديوان يجد أنه قد جاء معبراً عما ساد الحياة الاجتماعيـــة في عصره من انغمـــاس في اللهو والملذات ، فدعا نفسه ومن معه إلى الزهـــد والعودة إلى الدين ورفض عوامل العبث والمجون .

وعند دراسة الديوان نجدّ أن الشاعر يعبر في أشعاره عن بعض المنغصات التي حلّت به ،فالشاعر قد وصف ما يدور حوله من أحداث ،فقد كان يتوق إلى زيارة البقاع المقدسة، وأن مصاعب حالت دون أن يحقق ما يريد .

كذلك فهو يشكو من الابتعاد عن وطنه وبلاده ، ويظهر السبب الذي جعله يفارق وطنه وهو احتلال الإسبان له، كما أنه يشكو من هذا الهجر لأحبته ،ويتمنى أن يعود إليهم متذكراً ملاعب صباه وأوقات أنسه في وطنه.

إن قصة المولد النبوي ليست قديمة العهد في التاريخ الإسلامي ، وان زعم بعض مؤلفي الموالد أن الرسول ﷺ قد أوصى بأن يحتفل المسلمون بمولده بعد أن يموت"[١]".

لم يعن "أحد من القدماء أو المحدثين بتاريخ هذا الفن في اللغة العربية؛ لأن الذين أجادوه لم يكونوا في الأغلب من فحول الشعراء ، ولأنه لم يطّرد في التاريخ ،ولم يكن فناً ظاهراً بين

---

[١] – زكي مبارك : المدائح النبوية ، بيروت: دار الجيل١٧٤

الفنون الشعريّة :كالرثاء والوصف ؛ وإنما هو فن نشأ في البيئات الصوفيّة، ولم يهتم به من غير الصوفيّة الأ القليل" ."[١]"

وتعتبر البيئة الأندلسيّة من أخصب البيئات إنتاجا في المدائح النبويّة ومن أوائل ما وصل إلينا في تاريخ هذا النوع من الاحتفال قصيدة لأبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) ، سمّاها "معراج المناقب ، ومنهاج الحسب الثاقب" في ذكر نسب الرسول عليه الصلاة والسلام، ويتحدث في هذه القصيدة عن معجزات النبي ، وأصحابه يقول :

إلى صفْوَةِ اللهِ الأمِينِ لِوَحْيِهِ أبي القاسِمِ الهَادِي إلى خَيْرِ مَشْعَبِ

إلى ابْنِ الذَّبِيحَيْنِ الّذي صِيْغَ مَجْدُهُ ولَمّا تُصَغ شَمْسٌ وَلا بَدْرُ غَيْهَبِ

إلى المُنْتَقَى مِنْ عَهْدِ آدَمَ في الذُّرَى يرَدَّدُ في سِرِّ الصَّرِيحِ المُهذَّبِ "[٢]"

والمدائح النبوية لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية،وباب من أبواب الأدب الرفيع؛لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص "[٣]"، وقد سُمي مديحاً ، ولم يسم رثاءً لاعتقادهم أن الرسول ﷺ حيّ بأفكاره وبسنته وبهذا الدين الذي جاء به .

ومن أقدم ما مُدح به الرسول ﷺ ،قول الأعشى

الَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ ليْلَة أرْمَدا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيم المسهدا

ومَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِوَانّمَا تَنَاسَيْت قَبْلَ النَّوْمِ خـلة مهددا

والى أن يقول:

نَبِيُ يَرَى مَالا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ أغَارَ لعَمْرِي فِي البِلاد وانجدا

لَهُ صَدَقَاتُ مَا تَغِب وَنَائل وَلَيْسَ عَطَاء اليوم مانعه غدا:"[٤]"

---

[١]- زكي مبارك : المدائح النبوية ، ص١٥

[٢]- ابن أبي الخصال : رسائل ابن أبي الخصال ،تحقيق محمّد رضوان الداية ، دمشق : دار الفكر ، ط١، ١٩٨٧، ص ٦٢٩

٣- زكي مبارك: المدائح النبوية ص١٧٦(المرجع السابق)

[٤]- الأعشى :ديوان الأعشى ، تحقيق محمد محمد حسين، بيروت: دار النهضة العربية،ط١ ،١٩٧٤،ص ١٨٥- ١٨٦

والأعشى عندما قال هذا لم يكن صادق النية في مدح الرسول ﷺ ،والأعشى لا يفهم النبوة وإنما كانت محاولة أراد التقرب من بني الإسلام ، والدليل أنه انصرف حين صرفته قريش ، كما أن هناك الكثير من الشعراء من قال في المدائح ككعب بن زهير في قصيدته التي مطلعها :

بَانتْ سُعَادُ فقَلبي اليَومَ مَتْبُولُ مُتَيّمُ إثرَهَا لمْ يُفْدَ مَكْبُولُ"[١]"

وهناك شعراء قالوا الشعر،وكانت أشعارهم تصدر عن قلوب مفعمة بالحب أمثال حسان ابن ثابت فقد خصص القسم الأكبر من ديوانه للمديح النبوي بعد إسلامه.

وقد توالت المدائح النبويّة بعد وفاة الرسول ﷺ **في** جميع العصور ،وقد كان الشعراء يمدحون الرسول الكريم ، وآل بيته الأطهار، فمدحه الكميت صاحب الهاشميات، ومدح الهاشميين ،ومن ذلك قوله:

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إلى البيضِ أطْرَبُ وَلا لعِباً مِنّي وَذُو الشّيبِ يَلْعَبُ

إلى أن يصل إلى قوله:

ولَكِن إلى أهْلِ الفَضَائل والنُّهى وخَيْرِ بَنِي حَواء والخَيْرِ يُطْلَبُ "[٢]"

كما أن الشريف الرضي "[٣]" قد مدح آل البيت رضي الله عنهم، وقد مدح الحسين بن علي سبط الرسول ﷺ، وتحدث عن قبره عند وفاته ، يقول:

وقبراً بالطُّفُوف يَضمُّ شِلْواً قَضَى ظَمَأً إلى بَرْدِ الشَّرَابِ "[٤]"

ونشطت المدائح النبويّة للرسول وآل بيته في عصر الدولة الفاطميّة وما بعدها، ولم يقتصر مدحه على الرجال فحسب، وإنما مدحه النساء أيضاً ، ومن النساء اللواتي مدحن

١- كعب بن زهير : الديوان، شرح الإمام أبي سعيد الحسن السكري ،مصر: الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٥٠، ص٦

٢- أبو ريّاش أحمد بن إبراهيم: شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق داود سلّوم ونوري حمودي القيسي،بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٤، ص٤٣-٤٥

٣- أبو الحسن بن الحسين بن موسى المرتضى ، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولد سنة٣٥٩، وتوفي سنة ٤٠٦هـ

٤- الشريف الرضي : الديوان ، شرح يوسف فرحات ، بيروت : دار الجيل ، مجلد ١، ١٩٩٥، ص ١١٤

الرسول الكريم أم السعد بنت عصام الحميري"[١]".

وقد جمع الحافظ فتح الدين المعروف بابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ هـ قصيدة ميمية ضمنه كل الشعراء الذين مدحوا الرسول عليه السلام وشرحها في مجلد أسماه (منح المدح)، وقد رتب الشعراء على حروف المعجم، حتى قارب بهم المائتين ،وقد جاء في مقدمة الكتاب " ثم عرض لي بعد ذلك معنى لم أسبق فيما علمت إليه ، ولا دُل أحد تقدمني عليه من ذكر مادحيه من الصحابة ." [٢] ،وقد قدّم لهذا الكتاب بقصيدة تتألف من ١١٦بيتاً جمع فيها أسماء الصحابة الذين صنف لهم مع ذكر شيء من أخبارهم، كما ذكر النساء اللواتي نظمن الشعر في مدح الرسول الكريم عليه السلام ، ومنهن أروى بنت عبد المطلب عمة النبي عليه السلام، تقول:

ألا يَا رَسُول الله كُنْتَ رَجَاءنا وَكنْتَ بِنَا بَرّاً ولَمْ تَكُ جَافِيا "[٣]"

وإذا انتقلنا إلى الأندلس فإننا نجد أن فن المديح النبويّ قد شاع وانتشر بكثرة ،وأن الكثير من الشعراء قد خصّصوا قسماً كبيراً من أشعارهم ،ومنهم من قصر شعره على المديح النبويّ، وقد كان المديح غرضاً من أغراض الشعر والنثر، ومن الذين مدحوا الرسولﷺ ابن الجنان فقد قال النثر والشعر في مدح الرسول الكريم، وقد نعته المقري:" له الباع المديد في النظم والنثر... كان مُحدّثاً راوية ضابطاً كاتباً بليغاً...وكان له في الزهد ومدح النبيﷺ بدائع ،ونظم في المواعظ "."[٤]"

ومن نثر ابن الجنان رحمه الله في شرف المصطفى عليه السلام " لمحمد خير الأنام ولبنة التمام ... وشهد الحجر والشجر، والماء من بين البنان يتفجّر، والضبية والضب ،والجذع

---

[١]- المقري: نفح الطيب ،ج٤، ص١٦٦، وقد ترجم لها المقري:(أم السعد بنت عصام الحميري،من أهل قرطبة ، وتعرف بسعدونه ، ولها رواية عن أبيها وجدها ، ونظمت شعراً في نعل النبي عليه السلام ، توفيت بمالقة سنة ٦٤٠هـ أو نحوها)

[٢]- ابن سيد الناس : منح المدح ، تقديم وتحقيق عفت وصال حمزة، دمشق : دار الفكر، ط١، ١٩٨٧،ص٧

[٣]- نفسه : ص٣٣٦

[٤]- المقري : نفح الطيب (مصدر سابق) ، ج٤، ص٤١٥- ٤١٦

المشتاق الصبّ" "[١]"، وله في المخمسات في مدح الرسول ﷺ وفيها يكرر صلوا عليه وسلّموا تسليما:

والضّبُّ كَلّمَ أحْمَدَ تَكْلِيمَا صلّـوُا عَلَيهِ وَسَلّموا تَسْلِيمَا "[٢]"

ومن شعراء المدائح النبويّة كذلك أبو إسحاق الإسرائيلي، عندما أظهر إسلامه ،ومالك بن المرحل، والذي" نظم قصيدة على حروف المعجم في مدح الرسول الكريم" "[٣]"

ويعتبر المديح النبوي من أبرز الأغراض الشعريّة التي تناولها ابن الصباغ الجذامي في ديوانه الشعري ؛ حيث يحتل قسماً كبيراً منه،والقسم الآخر خصصه لموضوعات كالتصوف والزهد والتشوق لزيارة القبر الشريف.

المديح النبوي من الموضوعات الكبيرة التي طرقها الأدباء: الشعراء والكتّاب ، وقد تخصّص شعراء كثيرون في النظم بالمدائح النبويّة ، كما أن هناك دواوين كثيرة يصعب حصرها ضمت بين دفتيها قصائد في المديح النبوي.

وقد تعددت اهتمامات الشعراء ، فمنهم من تناول حياته الشريفة ، والبعض تحدّث عن معجزاته، وغيرها من الموضوعات التي تتصل بسيرته العطرة عليه الصلاة والسلام ، وقد قدمنا في الصفحات السابقة شيئاً من هذه الاهتمامات .

ومن تتبعي لقصائد المديح عند ابن الصباغ، وجدت أنه يخصص قصائد كاملـــة لمدح الرسول ﷺ ،وأن القصائد الأخرى غير المدحيـــة يذكر فيها أبياتاً في المديح ، وتتوزع موضوعات القصيدة المد حية بين أمور شتى منها:الحديث عن **صفات الرسول عليه السلام** فصفات الرسول الكريم قد فاقت على كل شيء، وأنه شمس ينبعث منها النور إلى ما حولها من الكواكب ومن ذلك قوله:

فَلْتَسْتَمِع يا صَاحِ ذِكْرَ مَنَاقِبٍ قَد ْفَاقَ عُرْفُ ذَكَائِها الأزْهَارا

---

[١]- المقري:نفح الطيب " المصدر السابق" ص٤٢٢

[٢]- نفسه: ص٤٣٦

[٣]- المصدر السابق ، ص٤٣٦

فَمُحَمَّدٌ شَمْسُ المَفَاخِرِ والعُلا والصَّحبُ أضْحَوا حَوْلَهُ أقْمَارا

حُلو الشَّمائلِ طابَ ذِكْرُ ثَنَائِهِ فَحَكَى أقَاحاً نَشْرُهُ وَبَهَـارا "[1]"

ويصف الرسول ﷺ أنه خير خلق الله عز وجل ،وان الله اصطفاه من خلقه من أعلى نسب ، وأن حبه هو العاصم ، واليه يلجأ الخلق في يوم الفزع ؛ حيث يقول في قصيدة أخرى:

هو خَيْرُ خَلْقِ اللهِ والمُخْتَار مِنْ أعْلَـى نِجَارٍ حَلّ عَنْ أنداد

هو مُنْتَهَى أمَلِي وَمَلجَأ مَفْزَعِي هو شَمْسُ إيمَانِي وبَدْرُ رَشَادِي

هو عِصْمَتِي مِمَا أخَافُ وَحُبُّهُ يَوْمَ القِيامَةِ للخُطُوبِ عِمَادِي "[2]"

كذلك يبين الشاعر أثر الرسول ﷺ **في هداية البشر**، وتخليصهم من الجهل والكفر، وإرشادهم إلى خير الدنيا والآخرة، وفيها نلحظ إشارة إلى أن خلق الدنيا جاء تكريماً للرسول عليه السلام:

أصْبَحْتَ فِيهِ هَادِياً بِهدَايَةٍ تَمْحُو الضّلالَ وَتُظْهِر الإيمانا

بَلّغْتَ فِيهِ عَنْ الإلهِ رسَالَة بَيّنْتَ فِيـهَا للورَى تِبْـيَانا

لولا النَّبيُّ مُحَمَّدٌ وَوَجُوْدُهُ للدِين والدُّنْيا مَعَاً مَا كَانَـا "[3]"

و يطلب الشاعر **الشفاعة** من الرسول ﷺ في يوم القيامة؛ فهو صاحب الشفاعة؛في وقت كل واحد يسعى فيه إلى النجاة من أهـوال يوم القيامـة ، فهو يتخذ الرسول ركنا يحميه ويخلصه من عذاب يوم القيامة ، يقول:

أيا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ كُنْ لِي مُؤمِّلاً فَلَمْ اتّخِذْ رُكْنَاً سِوَاكَ وَلا كَهْفَـا

شَفِيعِيَ يا خَيْرَ الأنَامِ مَدَائـحٌ أنَظِّمُهَا دُرّاً وَأحْكِمَها رَصْـفَا

إذا قَدَّمَ الرّاجُونَ مِنْكَ شَفَاعَةً وَسَائلهُمْ يَوْمَاً أقَدِّمُها صَـفَا

---

[1] – الديوان: ص ١١١

[2] – نفسه: ص ١١٤ – ١١٥

[3] – المصدر السابق: ص ١٨٦

عَسَى بامْتِدَاحِ الهَاشِمِيِّ وَصَحْبِهِ سَيَمْنَحُنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِهِ لُطْـــفَا"[١]"

كما أنه يؤكد أن لا فخر إلا لمحمد ، وأن الافتخار به أعلى من كل فخر، وأن شرفه أسمى من كل شرف، وقد حقق هذا الشرف أعلى المراتب ، يقول :

بأمْدَاحِ خَيرِ الخَلقِ أحْمَدَ أعْتَنِي وأنْشُرُهَا فِي الأرْضِ غَرْبًا وَمَشْرِقًا

لَهُ الشَّرَفُ السَّامِي عَلَى كُلِّ مَفْخَرٍ بِهِ قَدْ جَنَى أسْنَى المَرَاتِبِ مُطْلَقًا

فَلا فَخْرَ أعْلَى مِنْ فَخَارِ مُحَمَّدٍ ولاعِزَّ أسْمَى لا ولامَجْدَ أسْـبَقَا "[٢]"

وقد ذكر الشاعر بعضاً من **معجزات النبي الكريم** ﷺ، والتي جاءت دليلاً لهذه العقول الجاهلة التي لا تقنع إلا إذا رأت دليلا واضحاً ماثلا أمامها:

وقُومُوا لَدَى ذِكْرِ النَّبِيِّ تَوَاضُعَاً ففِي كَفِّهِ الحَصْبَاءُ أضْحَت تُسَبِحُ"[٣]"

فهو يشير إلى المعجزة؛ حيث قبض الرسول ﷺ حصيات بيده، حتى سمع لهن طنيناً كطنين النحل، ثم وضعهن بالأرض فخرسن. كما أنه يشير إلى معجزة أخرى وهي معجزة انشقاق القمر:

لَهُ الشَّمْسُ والأقْمَارُ تَعْنو مَهَابَةً ولِمْ لا وَذَاكَ النُّورُ قَدْ خَرَقَ الحُجُبَا"[٤]"

وهذه إشارة صوفيّة إلى أن الله عزّ وجلّ خلق الدنيا إكراماً للنبي عليه الصلاة والسلام ،وفي صحيح مسلم يذكر مناسبة الحديث الشريف فهو يشير إلى طلب أهل مكة من الرسول ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقــاق القمر مرتين حتى رأوا حراء ، وهذا يشير إلى الحديث الشريف الوارد عن الرسول ﷺ :"عن أبي معمر،عن عبد الله بن مسعود قال :"بينما نحن مع

---

[١]- الديوان: ص ١٧٧-١٧٨
[٢]- نفسه : ص ١٣٥-١٣٦
[٣]- المصدر السابق: ص ١٢٣
[٤]- الديوان: ص ١١٧

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى،إذا انفلق القمر فلقتين ،فكانت فلقة وراء الجبل ،وفلقة دونه .فقال الرسول عليه السلام :اشهدوا" "[١]".

ويكثر ابن الصباغ من **ذكر الأماكن الحجازية** ؛ حيث مبعث الدعوة الإسلامية، ومثوى الرسول الكريم مثل : العقيق [٢]، الرامة يثرب "[٣]...الخ

يَهيجَهُ ذِكْرُ العَقِيقِ إذَا سَرَى وَأَيْنَ مِنَ الصَّبِّ القصِيِّ عَقِيقُ"[٤]"

ويذكر **البقيع**"[٥]في المدينة المنورة والسعي لزيارة تلك الأماكن المقدسة،قوله

واعْمَلْ إلى تِلْكَ المَعَاهِدِ رحلَة وَاطْوِ السَّبَاسِبَ للبَقِيعِ الغَرْقَدِ"[٦]"

ولشدة ما يجد في نفسه من هيام وشوق إلى تلك الديار؛ فأنه يخاطب الحادي المتجه إلى طيبة أن يحث الركاب للوصول إليها وأن يخبر أهلها بقصته ،فهو المُعذّب،دائم البكاء لعله يحظى بنفحة رضى من أهل تلك الديار ويتمنى أن يتيح له الزمان بزيارة إلى تلك الديار فيقول:

يا حَادِيَ الأظْعَانِ يأمَلُ طَيْبَة أقْصُصْ فَدَيْتُكَ قِصَّتِي يَا حَادِي

وانزل بهَاتِيكَ الرُّبُوعِ وَقِفْ على نَادِي النَّدا إمَّا عَرَضْتَ وَنَـــادِي

هذا أسِـيرُ بُعَـادكُم أجْفَـــــانُهُ تَحْكِي بِفَيْضِ الدَّمْعِ سُحْبَ عِهَادِ"[٧]"

فَمَتَى عَلَى بُعْدِ الدِّيارِ وَشَحْطِهَا يَحْظَى بوصْلِكُمُ حَلِيفُ سُـهَادِ"[٨]"

كما أنه يطلب إلى الراحلين حثّ الركاب إلى مثوى الرسول الأكرم،صاحب الشفاعة، فقد ذهب العمر وأصبح روض الشبيبة في نهايتـــه ، فهذه الديار تشفي أمراض الإنسان

---

[١]- مسلم بن الحجاج النيسابوري :صحيح مسلم ،بيروت: دار إحياء التراث العربي،ط١، ٢٠٠٠ باب انشقاق القمر حديث رقم ٢٨٠٠

[٢]- العقيق: من نواحي المدينة المنورة ، ياقوت الحموي : معجم البلدان (مصدر سابق) ٤/ ١٢٦

[٣]- يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية ... فلما نزلها الرسول الكريم سماها طيبة أو طابة ؛ كراهة للتثريب ياقوت الحموي : معجم البلدان (مصدر سابق) ٥/ ٤٣٠

[٤]- الديوان :ص١٤٦ ، والعقيق واد بالقرب من المدينة المنورة ، ياقوت الحموي : معجم البلدان (مصدر سابق)١٢٦/٤

[٥]- البقيع: موضع صدقة زيد بن ثابت الأنصاري ، وهو من حرم المدينة ،ياقوت الحموي: (مصدر سابق)، ١٩١/١

[٦]- الديوان: ص ١٩٠ ، والسباسب شجر يتخذ منه السهام(ابن منظور : لسان العرب،٤٥٩/١، والغرقد مقبرة المدينة المنورة، والغرقد شجر عظام (الفيروز آبادي : القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط٥، ١٤٠٦ هـ، ٢٨٨٥/١).

[٧]- عهاد : مطر بعد مطر وندى الأول باق ابن منظور : لسان العرب،باب عهد ٣١٤/٣

[٨]- الديوان: ص ١١٥- ١١٦

المزمنة يقول :

حُثَّ الرِّكَابَ إلى الشَّفِيعِ فقدْ دَوَى رَوْضُ الشَّبِيبةِ وانْحَنَى غُصْنُ القُوَى

وَانْهَضْ إلى تِلكَ المَعَالِمِ قاصِداً فيُرِبَتِها تُشْفَى تَبَاريحُ الجَوَى"[1]"

ولشدة لهفته لزيارة تلك الديار ــ ديار المصطفى ــ فأنه يقسم إذا أوصلته المطايا إلى قبر الرسول ﷺ فأنه سيقوم بتقبيل أخفافها،وأظفارها ، وسيبدلها بجدب عيشها حياة خصبة رخيّة امتناناً لها:

عَليَّ عُهُودٌ للمَطَايا وَثِيقَةٌ إذا أوْرَدتنِي تِلْكَ المَوْرِدَ العَذْبا

أقِيلُ أخْفافاً لها وَمَنَاسِمَاً وأبْدِلهَا مِنْ جَدْبِ عِيشَتِها خِصْبا"[2]"

كذلك فأنه لا يكتفي بتقبيل الأخفاف؛ بل **سيمرغ خده في التراب** الذي تسير عليه وليس كل ذلك ؛إلا لشوقه الكبير لتلك الديار:

عَليّ َعُهُودٌ للمَطَايَا وَثِيَقةٌ إذَا أعْمَلَتْ بي نَحْوَ ذَاكَ العُلا خُفَّا

أمَرِّغُ خَدّي فِي تُرَابِ مَسِيرِها وَالثُمُ إجلالا مَوَاطِئَهَا ألْقَا"[3]"

الرثاء النبوي :

لقد نظم ابن الصباغ الجذامي قصيدة واحدة في وفاة الرسول ﷺ ، وقد صور ما حلّ بالمسلمين عند وفاة النبي الأكرم ؛ فقد تقطعت قلوبهم حزناً وأسىً ،وقد سالت دموع المسلمين وكأنها الطوفان ، وأن هذه الدموع قد وسمت الشاعر وأثرت في خده وان قواه قد انهدت ، وأصبحت أركانه واهية،وأن نبأ وفاة الرسول قد زلزل قلوب المسلمين ، مثل تزلزل جبل ثهلان على عظمه، يقول :

أفْلاذُ قلبٍ قُطِّعَتْ أحْزَانا وَدُموعُ جَفْنٍ قَدْ هَمَتْ طُوفانا

---

[1]- الديوان: ص١٢٥

[2]- نفسه: ص ١١٧

[3]- المصدر السابق : ص ١٧٧

ما حَالُ ذي شَجَنٍ دُمُوعُ شُؤُونِهِ رَسَمَتْ بِصَفْحَةِ خَدِّهِ عِنْوَانا

هَدَّ القُوى مِنْهُ وَأَوْهَى رُكْنَهُ نَبَأ يَهُدُّ بِخَطْبِهِ تَهْلانَا"[1]"

ومن خلال هذه القصيدة يذكر لنا الشاعر بعض صفات الرسول ﷺ،فيصفه بأنه خير من مشى على الأرض ، وأنه قد بلّغ رسالة رب العالمين وقد بينت للخلق منهاج حياتهم القويم.

كذلك فإنه يرى وكأن شموس المعالي قد انكسفت لفقده ووفاته، ويقارن بين عصر النبي ﷺ وباقي العصور وأن عصره عليه السلام كالبستان المورق اليانع، ويصف الرسول عليه السلام بأنه خير من مشى على هذه الأرض، يقول:

رُزْءٌ عَظِيمٌ فَتَّ فِي عَضُدِه ... (فَأصَابَ) أكْبَادَ الوَرَى أَشْجَانَا

كُسِفَتْ شُمُوسُ المَعْلُوَاتِ لفقدِ مَنْ لِلمَجْدِ أسَّسَ فَخْرُهُ بُنْيانا

ياخَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى لايَبْعُدَنْ زَمَنٌ بِقربِكُمُ غَدَا جَذْلانا

بَلَّغْتَ فيهِ عَنِ الإلهِ رِسَالةً بَيَّنْتَ فِيهَا للوَرَى تِبْيَانا

عَصْرُ النَّبيِّ الهَاشِمِيِّ مُحَمَّدِ بَيْنَ الأعَاصِرِ قَدْ غَدا بُسْتَانا"[2]"

ويشير في أحد أبيات القصيدة إلى أصل من أصول الصوفيّة وهو الحقيقة المحمديّة ، وأن الله قد خلق الخلق جميعاً من أجل النبي عليه السلام، "والحقيقة المحمديّة هي العماد الذي قامت عليه (قبة الوجود) كما عبّر ابن عربي " هي صلة الوصل بين الله والناس ، فهي القوة المدبرة التي يصدر عنها كل شيء." "[3]"

لَوَلا النَّبيُّ مُحَمَّدٌ وَوَجُودُهُ للدِين والدُّنْيَا مَعَاً مَا كَانَا"[4]"

---

[1]- الديوان: ص١٨٥ ، وثهلان : جبل ضخم بالعالية ، عن أبي عبيدة: وطوله في الأرض مسيرة ليلتين، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٨٨/٢، (مصدر سابق).

[2]- نفسه: ص ١٨٦

[3]- زكي مبارك : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ،بيروت: دار الجيل ، ج١،ص٢٠١

[4]- الديوان: ص١٨٦

رسائل شعريّة إلى الجناب النبويّ الشريف:

وهي عادة عند المسلمين أن يرسلوا مع المسافرين إلى الحجاز تبليـــغ سلامهـــم إلى الرسول الكريم وكذلك بعض الشعراء يبثون الأشواق والحسرات والآمال والأحزان الكبيرة ويأملون الحج إلى بيت الله ، وزيارة قبر الرسول ﷺ.

كذلك نجد عادة إرسال الرسائل مع الحجيج منتشرة بين الأدباء ، وقد كتبوا رسائل شعريّة وأخرى نثرية ،وفيها يتشوقون إلى زيارة الأماكن المقدسة ، وأداء فريضة الحجّ ،والصلاة في الروضة الشريفة، والسلام على الرسول الكريمﷺ. ومن الرسائل النثرية ما كتبه ابن أبي الخصال "[١]" "وبعث بها مع قاصدِ حاج إلى الديار المقدسة، يبدي فيها أشواقه إلى الحرمين ودعاءه أن ييسر له أداء الفريضة والصلاة في الحرم النبوي" "[٢]" يقول ابن أبي الخصال: " إلى الرّؤوف الرحيم ،الرسول الكريم، ذي الخلق العظيم، والحسب الصميم... المخصوص بالمقام المحمود،والحوض المورود؛ وخطيب الأنبياء ، وإمامهم في اليوم المشهود ... الوارد بالمعجزات، الذي سلّم عليه الحجر والتأم إليه الشجر ، وانشق لبرهانه القمر، وحنّ إلى حضرته الجذع المنقعر... وكيف لا أقضي حزناً ولا أرسل دموع الوجد والتلهف مُزناً ، أم كيف ألذ حياة ، وأؤمل نجاة؛ ولم أعبر إلى زيارتك لجة، ولاموماة ،ولا أخطرت في قصدك نفساً أنت منقذها ومحييها... اللهم يسرني إلى قصده ، وأعدني بالقرب على بعده ، واعمُر بي ما بين قبره ومنبره ،... اللهم شرّفني بقضاء الفريضة ... فأتوسل بك يا رسول الله إلى مصطفيك بالرسالة والوســيلة ... ليُسعدني بجـــوارك ، ويُكزمني بحــلول دار هجرتك وأنصارك" "[٣]"

---

[١]- أبو عبد الله محمّد بن مسعود المشهور بأبي الخصال ، ولد سنة ٤٦٥هـ

[٢]- حاشية كتاب رسائل ابن أبي الخصال ص٣٦٢ ، والرسالة موجودة ص ٣٦٢- ٣٧٠، وله رسالة أخرى في نفس الموضوع

[٣]- ابن أبي الخصال : رسائل ابن أبي الخصال ، (مرجع سابق)، ص٣٦٢- ٣٦٨

أما ابن الصباغ فقد تميز برسائله الكثيرة ؛ التي أرسلها مع الحجيج القاصدين إلى الديار المقدسة ؛ وقد كانت رسائله الشعرية تحمل أشواقه وحنينه إلى تلك البقاع الشريفة، فالشاعر يخاطب حادي الأظعان ومن معه من الحجيج؛وقد استعدوا للرحيل إلى طيبة(المدينة المنورة) أن يحمل شكاياته ، ويدعو له أن يحيط به الرشد من كل جانب ، وإذا وصل إلى تلك الديار فليبلغ أحاسيسه وأشواقه إلى أهلها، فهو طوال حياته يأمل الوصول إليهم وأن يكون مقبولاً عندهم،فيقول:

فيَا حَادِيَ الأظْعَانِ يَأمَلُ طَيْبَةَ تَحمّلْ شِكَايَاتِي تَكَنَّفَكَ الرُّشْدُ

إذَا جِئتَ هَاتِيكَ الرُّبُوعَ مُسَلِّمَاً فأبلغْهُمُ أنِّي بِذِكْرِهُمُ أشْدُو

وما زلتُ أرْجُوهُم عَلى البُعْدِ والنَّوَى فلا يَكُ حَظِّي مِنْ نَوالِهِمُ الطَّرْدُ

فإن كُنتُ مَقصِيّاً فَمَا عَنْهُمُ غِنِى وإن كُنْتُ مَطْروداً فَمَا مِنْهُمُ بُدّ"[1]

وفي قصيدة أخرى يتذلل لساقي الأظعان وقد استعدت في وقت الضحى الرواحل إن كان في رحلهم من يشفق على حاله،وإذا وصلوا إلى تلك الديار، وفازوا برؤية الأنوار المشرقة أن ينقل رسالة مشوق إلى أهل تلك الديار،وأنه قد فقد قلبه عندما تحمّل المسافرون على جمالهم ،يقول:

فيا سَاقِيَ الظَّعْنِ المُثِيرَةِ بالضُحَى أفِي ظُعْنِكُمْ قلبٌ عَليّ شَفِيقُ

إذا جِئتمُ مَغْنَى الأحِبَّةِ باللِوَى وَفُزْتم بأنوارٍ لهنَّ شُرُوقُ

سَلوا فِي خِيامِ الحيّ مِنْ أهْلِ وَجْرَةٍ مَتَى يَلتَقِي مُضْنَى النَّوَى فيفِيق"[2]

كما أنه لا يكتفي بإرسال الرسائل مع الراحلين إلى الديار المقدسة ؛ بل يقوم بإرسال الرسائل مع الرياح ، ولتبلغ أهل تلك الديار وتصف لهم حالته ، فقلبه عليل ،و أحشاؤه غليلة

١- الديوان : ص ١٢٤ ، وينظر ص١٢٣- ١٢٨

٢- نفسه: ص ١٤٦ ، وانظر أيضاً ص ١٤٤

من حرارة الحب والحزن ، كما أنه يأمل أن يكون له سبيل إلى زيارتهم ،ويتألم لأن غيره يفوزون بالزيارة ،وهو الذي يحرم منها ، فيقول:

هَلْ فِي الرِّيَاحِ إلى الحَبيبِ رَسُولُ فالقلبُ مُضْنى والفُؤادُ عَليلُ

باللهِ يَاريحُ أبْلغِي أهْلَ الحِمَى أنَّ الجَوَانِحَ حَشْوُهُنَّ غَلِيلُ "[1]"

يا نَازِحِينَ وفِي الفُؤادِ خَيَالهُم أمَدُ اللقا هَـلْ لي إليهِ سَبيـلُ

ما لِي أرَى غَيري يَفُوزُ بِقُرْبِكُمْ وَوِصالكُمْ مَالِي إليهِ وُصُولُ"[2]"

وتكثر في قصائد الحجازيات ذكر الأماكن ، وهي تعبر عن مدى الشوق الكبير لزيارتها ، وفيها بيان لجمال هذه البلاد ، فالريح القادمة من تلك الديار تهيّج الشوق ، وتشعل في القلب الحبّ لزيارتها والتمتع بها، يقول:

تَهـيجُ صَبَابَاتِي وَيُذكَى لَـهِيبُها إذا مَا سَرت مِن أرْضِ نَجْدٍ جَنُوبُهَا

وَتُذْكِرُنِي الزّوراءُ زَوْرَةَ أحْمَدٍ فَتَنْهـلُّ مِن أجْفَانِ عَيْنِي غُرُوبُهـا "[3]"

كما أنه في قصيدة أخرى يعبر بلسان الصـبّ المشغوف بحبّ حبيبه ، ويبيّن جماليات المكان الذي يعشقه ،والأثر الذي يتركه هذا الحب في نفسه ، فالشاعر يحن إلى نجد ،ويشتاق إلى يثرب، لأن تربتها تضم الشفيع عليه السلام، فالقرب من الحبيب يعيد الربيع إلى الروض الذابل ، والخصب إلى المكان الجدب ، يقول:

تَحِنُّ إلى نَجْدٍ وَتَشتَاقُ يَثْرِباً وَمَا شَوْقُهَا إلاَّ لِتُرْبِ شَفِيعِهَا

فَلَوْ نَزَعَتْ نَحْوَ الحَبيبِ بِقَصْدِهَا وَسَـاعَدَهَا الإسْعَافُ نُزُوعِهـا

لأيْنَعَ رَوضُ القُرْبِ بَعْدَ انْذِبَالِهِ وَأخْضَلَ بَعْدَ الجَدْبِ عُشْبُ رَبِيعِهَا "[4]"

---

[1]- الغليل : حرارة الحزن أو الحب

[2]- الديوان: ص ١٢٦

[3]- نفسه : ص١٧١

[4]- المصدر السابق :ص ١٧٦- ١٧٧

مما سبق نجد أن الشاعر يبعث برسائله مع الراحلين إلى الديار المقدسة ، ويطلب إليهم أذا وصلوا إليها أن ينقلوا أشواقه إليهم وأنه يشدو بذكرهم ، كما أن هذا الرسائل تحمل الأمل في زيارته ،والتحسر على عدم قدرته على تحقيقها.

مناسبات دينيّة:

لقد قال ابن الصباغ أشعاراً في مناسبات دينية ،وفي مجملها تذكير للمسلم على اغتنام هذه المناسبة لتجديد العهد مع الله –عزّ وجلّ – والعودة إلى منهاجه القويم ومن أشهرها:

١-المولد النبوي الشريف:

والمولد النبوي الشريف يعدّ من شعر المناسبات ،فقد نظم ابن الصبّاغ ثلاث قصائد في المولد النبوي ، فقد تحدث عن شهر ربيع الأول، وفضـــله على الأشهر،فهـــو شهر ميلاد خير البشر، ويمتاز على الشهور كما يمتاز الرسول ﷺ على جميع البشر ، كما أنه يضفي على هذا الشهر صفات البشر من التدلل والتبختر ، فهو يحوي ليلة عظيمـــة ليلـــة ميلاد المصطفى عليه السلام ، يقول :

هذا رَبيعٌ قَدْ أتَاكَ مُبَشِّراً يقْدُوم مَوْلِدِ خَيرِ مَنْ وَطِئَ الثـَّرى

لاشَكَّ فِيـــهِ أنَّهُ في فَضلِهِ بَيْنَ الشُّهُور كَمِثْلِ أحْمَدَ فِي الوَرَى

وَفَاكَ يَزْهـــو بَيْنَ أشْهُرِ عَامِهِ مُتَـــهَلِّلاً مُتَـــدَلِّلاً مُتَبَـــخْتِرا

بَهَرَ الشُّهُورَ بِلَـــيْلَـــةٍ نَبَـــوِيَّةٍ ضَمِنَتْ لَـــهُ آيَاتُـــها أنْ يَبْهَرَا"[١]"

ويؤكد في الأبيات التالية أن شرف النبي الكريم قد جاء مسطّراً في الكتاب الكريم، ويذكر حقيقية وجود المخلوقات ، وأن الله خلقها من أجل محمد ،و أنه قد جاء بشيراً ونذيراً للخلق، يشفع لهم يوم القيامة ، يقول:

شَرَفٌ لأحْمَدَ قَدْ أتَى تَعْظِيمُهُ بالنَّصِّ فِي آيِ الكِتابِ مُسَطَّرا

---

[١]- الديوان : ص ١٨٤

لوْلاه مَا طلعَتْ بُدُورُ أهِلةٍ لَيْلاً ولا صُبْحٌ أضَاء وأسْفَرا

للخَلق أرْسِلَ شَاهِدا ومُبَشِّرا ومُشَفَّعَاً فِي المُذْنِبينَ ومُنذِرا"[١].

وفي نهاية القصيدة يتساءل عن الزمان الذي يحقق فيه رغباته ويزور طيبة ، ويعفر خديه بتربتها المعطرة بطيب ساكنيها،ويتحسّر على الزمان الذي منعه من زيارتها يقول:

فمَتى بِطَيْبَة أجْتَنِي تَمْرَ المُنى وأعَفِّرُ الخَدَّيْن فِي ذَاكَ الثَّرى

وأزُورُ تُرْبَ مَعَاهِدٍ وَ مَعَالِمٍ أضْحَى بطِيبِ السَّاكِنِين مُعَطَّرا

يَا تــرْبَةً مَنَعَ الزَّمانُ مَزَارَهَا قَلْبي عَلَى بُعْدِ المَزَارِ تَقَطَّرا"[٢]"

وفي قصيدة أخرى يذكر فضل هذا الشهر الكريم الأغر،كما أنه يوجه خطابه إلى نفسه والآخرين بشكر الله على وصولهم هذا الشهر ويمدح الرسول الكريم ﷺ،فيقول:

فاشْكُرْ مُدَاوَلــةَ الزَّمانِ فإنَّها قدْ أوصَلَتْكَ مِنَ الشُّهُور رَبيعَا

رُفِعَتْ لِخَيْرِ الخلقِ فِيهِ رَايَةٌ أضْحَى بِهَا عِزُّ الوُجُودِ مَنِيعَا

شَهْرٌ بِيمْنِ المُصْطَفَى والمُجْتَبَى قدْ طَابَ مَوْرِدُهُ ولَذَّ شُرُوعَا"[٣]"

كما أنه يصف حاله ، ويتحسر على ما فاته في سالف الأيام ؛ فقد أصبح قلبه بسببها صديعاً،وأنه سيبكي الدموع السخية ،ويتمنى أن تجود له الليالي بأوبة فهو شديد الشــوق إليهم ، يقول:

أسَقِي عَلـــــى أيَّامِ عُمْرٍ قدْ مَضَتْ حَسَراتــُها تَدَعُ الفُؤادَ صَدِيعَا

أتُرَى اللَيَالِي هَلْ تَجُودُ بِرَحْمَةٍ هَيْهَاتَ لا أرْجُو لِذَاكَ رُجُوعا

لاكِنْ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي لمْ أزَلْ أرْجُو إليهم أوْبَةً ونُزُوعَـــا

وَبِحُبِّ أحْمَدَ أرْتَجِي نَيْلَ المُنَى وَبِمَنْ لَهُ فِي التُّرْبِ حَلَّ ضَجِيعَا"[٤]"

---

[١]- الديوان: ص ١٨٥

[٢]- نفسه: ص١٨٥

[٣] ــ المصدر السابق : ص ١٩٢

[٤]- الديوان : ١٩٣

كما أنه في قصيدة ثالثة يدعو نفسه وغيره إلى مداومة الطاعة في هذا الشهر الكريم وعلى الأخص الليلة الثانية عشرة منه ،وحاله البكاء والضراعة والتشفع

وَصـــلِ القيام بهِ لِثنْـــتَيْ عَشْرَةٍ مِنْهُ وَحَالُـــكَ زَفْـــرَةٌ وَدُمُوعُ

وَاضْرَعْ لِربِّكَ في النَّجاوز وَلْيَكُن فِيهَا مَقَامُكَ ذِلَّـــةٌ وخـــضُوعُ

وَلتغتَنمْـــها وَصـــــلة مِنْ ليْلَـــةٍ مَا سَلَّـــمَتْ حتّى دَنا التّوديـــعُ "[١]"

وبعد هذا الاستعراض نلاحظ أن الشاعر قد تناول في قصائد المولد النبوي الحديث عن شهر ربيع الأول وفضله على الشهور كفضل النبي على باقـــي الخلق.كذلك فإن الشاعر يمزج بين صفات الرسول ﷺ و فضل شهر ربيع الأول،وعلى الإنسان أن يشكر فضل ربه الذي أوصله إلى هذا الشهر ،كما أن الشاعر يتحسر على ما فاته من تقصير في سالف الأيام ،ويسكب الدموع الغزيرة عليها،كذلك فإنه يأمل نيل المنى بحبه للرسول الكريم.

٢- شهر رمضان

ومن شعر المناسبات ما قاله الشاعر في **فضل شهر رمضان** ،والحث على صيامه ،وعدم التكاسل في أداء الطاعات، فهو ضيف والواجب إكرامـــه ؛وهذا الإكـــرام يكون بصـــون اللسان،وقراءة القرآن ،والبكاء على ما أسلف في أيامه السابقة ،فيقول:

هَذَا هِلالُ الصَّوم مِنْ رَمَضَانَ بالأفق بَانَ فَلا تَكُنْ بالوَانِـــي

وافاكَ ضَيفاً فالتَزِمْ تَعْظِيمَـــهُ واجْعَلْ قِرَاهُ قِرَاءةَ القُـــرْآنِ

واغْسِلْ بِهِ خَطَّ الخَطَايا جَاهِداً بِهَمُولِ وَابِلِ دَمعِكَ الهَتَّـــانِ"[٢]"

وفي هذه الأبيات يذكر بعض صفات العابدين الذين أخلصوا العبادة لربهم؛ فقد هجروا المضاجع ،وقاموا يتوسلون ويتذللون لربهم ،تسمع زفرات قلوبهم ،وترى دموع عيونهم ، وبذاك استحقوا الرِّضوان ، يقول:

١- الديوان: ص٢٠٩

٢- نفسه : ص ١٦٨

هَجَرُوا مَضَاجِعَهم وَقَامُوا لَيْلَهُ وَتَوَسَّلُوا بالذُّلِّ والإذْعَانِ

قَامُوا عَلى قَدَمِ الوَفَاءِ وَشَمَّرُوا فِيهِ الذُّيُولَ لِخِدْمَةِ الدَّيَّانِ

وَقَفُوا وللزَّفَرَاتِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ لَهَبٌ يَشُبُ بِأَدْمُعِ الأجْفَانِ

رَاضُوا نُفُوسَهُمُ لِخِدْمَةِ رَبِهِمْ وَلِذَاكَ فَازُوا مِنْهُ بالرضْوَانِ "[١]"

وفي قصيدة أخرى يتحسر على عمره الذي انقضى ، ويتمنى أن تعود له الأيام السابقة، فأضلعه أصبحت تتقلب على نيران شديدة . :

لَهَفِي عَلى عُمْرٍ تَصَرَّمَ وانْقَضَى هَلْ رَجْعَةٌ فيعَادَ لِي مَا قَدْ مَضَى

رُدُّوا لويلاتِ مَضَيْنَ فأضْلُعِي تُحْنَى جَوَانِحُهَا عَلى جَمْرِ الغَضَا "[٢]"

وله في البكاء على رمضان والتأسف على رحيله فهو كالبرق الذي يضيء ثم يختفي فجأة؛وعلى المرء أن يستغل أيام رمضان في الطاعات،فهو راحل وعلى المرء أن يقضي فيه ما يتوجب عليه تجاهه، يقول:

أدركْ بقايا العمر ويحكَ وانْتَهِضْ فالحزمُ يا حِلفَ الونَا"[٣]" أنْ تَنْهَضَا

هذا فدَيْتُكَ شَهْرُ صَوْمِكَ رَاحِلُ وكَأنَّهُ بَرْقٌ أضَاءَ فأوْمَضَا

أتراكَ قد حسّنْتَ فيهِ جِوَارَهُ وَقَضيتَ فِيهِ حُقُوقَه فقد انقضَى"[٤]"

و في الحث على **قيام ليلة القدر** وعدم التواني والكسل،وفيها توبيخ للمتواني عن اغتنام الطاعة في هذه الليلة المباركة، وفيها يمدح أقواماً أخلصوا العبادة لله ؛ فأشرقت وجوههم فهي كالبدر في الليل المظلم ، يقول:

أيا ليْلة القدْر الشَّهير مكانُهَا أضَعْنا وَحقِّ اللهِ قِدْرَكِ مِنْ قَدْر

فواأسَفاً كَمْ ذا التكاسُلُ والونَا تغافلتَ يا مَغْرُورُ عَن ليْلَةِ القدر

---

[١]- الديوان : ص ١٦٨

[٢] – نفسه: ص١٤٩-١٥٠

[٣]- حلف الونا : ملازم الضعف

[٤] – الديوان : ص ١٥٠

وَقُومٌ عَلَى بَابِ الكَرِيمِ وُقُوفُهُمْ يُنَاجُونَ مَولاهُمْ قِيَامًا إِلى الفَجْـرْ"[١]

تُضِيءُ بإِشْرَاقِ الخُـلُوص وجُوهُهُمْ فنورُهُمُ في ظُـلْمة الليْلِ كالبَـدْرْ"[٢]

ويذكّر المسلم ماذا أعد ليوم الحشر من عمل وماذا يكـون عذره في ذلك اليوم ، وليصحو من نومه الذي سيقوده إلى القبر،كما يذكره أن الدنيا هي فتنة للإنسان يحاسب عليها يوم الحشر،لذا يجب عليه تركها فهي خادعة غادره يقول:

مَضَى عَنْكَ رَيعَانُ الشَّبابِ ولَمْ تَتُبْ فَمَاذَا لِهَوْلِ الحَشْرِ أعددتَ من عذرِ

أفِقْ كمْ أطلتَ النومَ واقصرْ فإنما لياليك أحداجٌ تسـوقُ إلى القبـرِ

ألا إنَّـما الدُّنْيـا فَدَيْدُكَ فِتْنَـةٌ وَفتـنَتُها مِنْ أعْظَـمِ الوزْرِ فِي الحَشْرِ

فـدَعْها وَلا تَأمَنْ لخدْعَةِ مَكـرِهَا فكَـمْ مُغـرَمٍ فِيهَا تُجَازِيهِ بالغـدْرِ "[٣]

٣- شهر رجـــب

وكذلك فقد تحدث في أشعاره عن شهر رجب،وقد نظم قصيدتين فيه . أما القصيدة الأولى: فتاتي في باب الوعظ والإرشاد للغافل اللاهي أن يستفيـق من لهـوه وغفلته ، ويغتنم هذا الشهر؛بقيام ليله وترتيل القرآن، والبكاء والندم، يقول:

نَبِّه فُؤادَكَ مِنْ طَويلِ رُقَادِهِ واعْمَلْ عَلى رَفـضِ الهَوى وَجِهَادِهِ

شَهْرُ الأصَبِّ ألَمَّ طَارق وفـدِهِ اكـرِمْ بوَفـدِ شَفـتَّنَا بِبـعَادِهِ

مَنْ كَانَ فِي غَيٍّ وَطـُول بِطَالَةٍ فَلْيَتَنبـهْ هـذا أوَانُ رَشـادِهِ

قُمْ ليْلَـهُ مُتَوسِّـلاً مُتَبتِّلاً وَمُرَتـلاً للذكـرِ فِـي أوْرادِهِ

خَدِّد بِدَمع العيْنِ خَدَّكَ فِي الدُّجَى واضْرَعْ لهُ يَكْفِيكَ طـُول بِعـادِهِ "[٤]

---

[١] – الديوان : ص ١٨٩إشارة إلى وقت ليلة القدر حتى مطلع الفجر

[٢] – نفسه: ص١٨٨– ١٨٩

[٣] – المصدر السابق : ص١٨٩

[٤] – الديوان: ص ١٤٥

كما أنه يتحدث عن صفات العابدين لله المخلصين ،الذين قد نالوا مرادهم ، ولكن بطول السهر والبكاء ، وقيام الليل ،وكأن النيران تحرق قلبه :

كَمْ سَاهِرٍ قَدْ نَالَ فِيهِ مـُرَادَهُ لـَكِـنْ بِطـُولِ بُكائـِهِ وَسُهـَادِهِ

مُتَهَجِـــداً فِي الذِّكْرِ فِي مِحْرَابِهِ يَحْـــــكِي حَمَامَ الأيْـكِ فِي إيرَادِهِ

كَمْ باتَ والشَّوق المُبرِّح في الحَشَا يُذْكِـى لَهيـبُ ضـرَامه بِفـُؤَادِهِ "[١]"

وفي قصيدة أخرى يذكر أن العمل في هذا الشهر كالبضاعة التي يسعى الإنسان فيها إلى الربح الوفير،وعلى صاحب الحاجة والفقير أن يغتنم موسم رجب فهو موسم للرزق والكسب ،وتاركها هو الجهول ، يقول :

وقدتْ عليكَ بضاعة لوتعلمُ فيها لمن يَبْغِـــي التجارةَ مغنـمُ

نَهْنهْ جُفُونَكَ مِنْ مَنَامِكَ وانْتَبِه رَجَبٌ لِعمـــرْكَ للتَقَرُّبِ مَوْسـِمُ

من كان ذا فقرٍ وفاقةِ حاجةٍ فبهذه الأوقاتِ حقـــاً يغنـــمُ

أوقاتُ رزقٍ كلّها لك يسرت لاتسلمنها يا جهـولُ فتُسْـــلَمُ"[٢]"

ويتحدث عن صفات العابدين حقاً ، ويؤكد المعاني في القصيدة السابقة، ويكرر بعض معانيها ،والعابدة عند الشاعر هي ترك المنام ، وتصور جهنم وكانها بين أضلاعه ، فهذه العبادة الحق:

هَجَرَ المَنَامَ وَبَاتَ يَشْكُو حُزْنَهُ وَبِطَيِّ أحناءِ الضُّـــــلوعِ جَهَنَمُ

هَذَا هُوَ الحزْمُ الَّذِي يُرْضِيهِ لا مَنْ بَـــاتَ فِي لِينِ الفِرَاشِ يُنعَّـمُ"[٣]"

---

[١]- الديوان: ص ١٤٥

[٢] – نفسه: ص ١٥٢

[٣]- المصدر السابق : ص ١٥٣

٤- شهر شعبان

وله تخميس في الحديث عن مناسبة قدوم **شهر شعبان** ،وفيه يحث على الجدّ ،فالمشتاق له يهجر النوم ، وأن الرسول الكريم قد صامه وعلى المسلمين أن يقتفوا آثاره،يقول:

فَضْلُ شَعْبَانَ علينا نصَّهُ أحمدُ المُخْتَارُ لمَّا قصّه "[١]"

فاعمل الجدّ ووال حِرْصَه إن هذا الشهر شهرٌ خصّه

بالتقى والفضلِ مولى فَطَرَكْ

هجرَ المشتاقُ فيه نومَـــهُ شمّر الذيلَ وأمضى حزمَهُ

جَعَلَ الخدمة فيهِ همَّـــــهُ ورسولُ اللهِ وَقّى صوْمَه"[٢]"

فاقتفِ الآثارَ تُحيي أثـــــرك"[٣]"

مما سبق نلاحظ أن ابن الصباغ الجذامي قد نظم أشعاراً في مناسبات متعددة كالأشهر المباركة، رجب ،شعبان ورمضان وليلة القدر .

وأظن أن هذه القصائد قالها الشاعر يدعو نفسه وغيره من المسلمين فيها إلى اغتنام هذه الأشهر،وهذه المناسبات المباركة في العودة إلى الله وتجديد العهد ، وأن هذه المواعظ نابعة من روح الدين ، وفيها أحاديث كثيرة تحث على اغتنامها فهي مواسم عبادة وطاعات .

ومن قصائد المناسبات التي نظمها الشاعر قصيدتان في المولد النبوي وأخرى في انتقاله إلى الرفيق الأعلى ،وأحسب أن هاتين القصيدتين رمزيتان ،فهما تشيران إلى ما كانت عليه بلاد المسلمين من علوٍّ ومجدٍ في عهـــد الرسول عليه الســـلام وما آلت إليه دولـــة الإسلام

---

[١]- إشارة إلى الحديث النبوي ونزول الله عزّ وجل إلى السماء الدنيا في ليلة النصف من شعبان(حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الحجاج بن أرطاة عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فخرجت فإذا هو بالبقيع. فقال: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ، قلت يا رسول الله : والله إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك. فقال: إن الله عزّ وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، بيروت: دار إحياء التراث العربي ،١١٦/٣، سنن ابن ماجة ٤٤٤/١

[٢]- إشارة إلى الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت:" فما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان" البخاري : صحيح البخاري ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ،الرياض: بيت الأفكار الدوليّة للنشر ،١٩٩٨ ،ص٣٤٥، رقم الحديث١٩٦٩، باب صوم شعبان

[٣]- الديوان : ص ٢١٨

بعد احتلال النصارى للأندلس ، و أن وفاة الرسول عليه السلام أمر عظيم على المسلمين ، وهو بمثابة هدّ أركان الجبل العظيم كثهلان مثلاً ."[١]"

٥- الحجازيات :

وهي القصائد التي يحنّ فيها الشاعر إلى زيارة بيت الله الحرام ، وشوقــه الكبير إلى رؤية هذه الأماكن المقدسة ، ويكثر فيها من ذكر الأماكن الحجازية، ومن الشعراء الذين تحدثوا عن الأماكن الحجازية : الشريف الرضيّ ،الذي نظم الأشعار الكثيرة في آل بيت الرســول الأطهار،وفي هذه القصيدة يذكر بعض الأماكن الحجازية كالمدينة المنورة ،والبقيع ، ويدعو لساكنيه بالسقيا، يقول:

سَقَى اللّهُ المَدِينَةَ مِنْ مَحَلٍّ لُبَاب المَاءِ والنــُّطَفِ العِذَابِ

وَجَادَ عَلى البَقِيعِ وَسَاكِنِيهِ رَخِيِّ الدّيلِ مَلآن الوطــَابِ "[٢]"

والشعراء يشكون من المصاعب التي تحول بينهم وبين الوصول إلى تلك الديار وفي هذه القصائد يكثرون من ذكر الأماكن الحجازية .

وابن الصباغ الجذامي من شعراء الحجازيات يأمل في زيارة الحجاز ،ويدعو الله أن يطيل في عمره ؛ حتى يحقق ما يتوق إليه. ففي هذه القصيدة يذكر حنينه ووجده إلى بلاد الحجاز، وقد جانب الأصحاب وتوجه إلى طيبة ، فبزيارة الهاشمي تعطى الرغائب ،حيث يقول :

وقد كنتَ للأحبابِ تثنى صبابة ولكن أراكَ اليومَ عنهمْ مُجانِبا

إلى طيبةٍ أرضٍ بها خيّمَ العُلا فَحُثّ ركابَ العزْمِ تُعطَ الرَّغائِبا

بزورةِ قبرِ الهاشِمـــــيِّ مُحَمَّدٍ تنالُ المُنَى حقّاً وتَجْنِي المَوَاهِبا"[٣]"

ويخاطب نسمة الأسحار القادمة من نجد ويسألها متى السبيل إلى زيارتها، وهل سيكون

---

[١]- وثهلان : هو رمز عند الشعراء إلى الانهيار والضياع لشيء شامخ وقوي .

[٢]- الشريف الرضيّ : الديوان : ص١١٤ ، والوطاب سقاء اللبن (ابن منظور : لسان العرب" مصدر سابق١/٧٩٨)

[٣]-الديوان : ص ١٧٨

له مقيل في منازلها، كما أنه يحمل الرياح رسالة إلى أحبابه فلم يعد لديه صبر على بعدها، يقول :

ألاَ يا نَسْمَةً مِنْ أرْض نَجْدٍ مَتَى يَجِدُ المَشُوقُ لهمْ سَبِيلا

مَتَى تــدْنِيهِ نَحْوَهمُ اللَيَالِي فَيلْقِي فِي مَنَازِلِهمْ مَقِيلا

مَتَى فِي سَاحَةِ الأحْبَابِ يَوْمَاً يَجُرُّ يقُرْبِهمْ زَهْوَاً ذُيُولا

لعَلَّك يَا صبَا الأسْحَار عَنِّي تَكــُونِي نَحْوَ أحْبَابِي رَسُولا"[1]"

وفي قصيدة أخرى يشكو من عدم قدرته على زيارة تلك البلاد ، فهو يسعى دائماً لزيارة تلك البقاع ، ويعزم على ذلك ، لكن الظروف والأحكام تجبره عل التراجع والتخــلي عن عزمه، فيقول:

أديلوا مِنَ الهجْرَانِ والبُعْدِ وَصلَة ففي قُرْبِكُمْ أمْنِي وَفِي بُعْــــدِكمْ خَوْفِي

وكمْ لِيَ مِنْ عَزْمٍ فينقصُ عقــدهُ أأعزمُ والأحكامُ مُرْغِمَــــة أنفِــــي

مَضَى زَمَنٌ كانَتْ بِهِ لي قدْرَةٌ فأصْبحْتُ مِنْ وَهْنِي وضَعْفِي فِي خَسْفِ"[2]"

وتتميز قصائد الحجازيات بذكر الأماكن المقدســة التي يتوق الشاعر إلى زيارتها، وأن الشاعر يتمنى أن يتيح له الدهر قربة منها ، وأن الشاعر قد نظم هذه القصيــدة في تذكر أوطان الصبا؛ وهي من الزهد المنظم على طريقة الغزل والتصوّف، يقول في هذه القصيدة:

ويا دَارَ سلمى والتباعدُ بيننا متى الدهرُ يُدني مِنكِ صَبّاً مُعذَّباً

فلله أعلامُ المُحصبِ كمْ وكمْ ركِبْنا بها للأنْسِ واللهوِ مَرْكَبــَا

إذا شمتُ من تلقاءِ يثرب بارقاً فقد طَابَ عَيشِي بالحَبيبِ وأخْصَبا

يُذكِرُنِي حَادِيَ الرِّفاقِ إذا سَرَى حَمائمَ باناتِ حَــــللنَ المُحصَّبــا

---

[1]- الديوان: ص١٦٦، وانظر ص١٤٢

[2]- نفسه: ص ١٥٨

وَيُطْرِبَنِي ذِكْرُ العَقِيقِ فأنثني كأنّي غُصْنٌ جَاذَبتْهُ يدُ الصَّـــبا"[١]"

ويظهر في الديوان أن الشاعر هائم في تلك الديار ،وأن كل ما يسمعه من الطبيعة يجعله يحن إلى تلك الديار :

نَتيهُ بِقفْرِ الوَجْدِ طَوْرَاً بِحُبِـكُـمْ وَتَحْدُو بِنَا الأشْوَاقُ طَوْرَاً فَنَهْتَدِي

إذَا غَرَّدَتْ فِي الأيْكِ وُرْقُ حَمَائِمِ حَنَنْتُ إلَيْكُمْ لا لِصـــوْتِ المُغَرِّدِ

وإنْ قَصَدَ الوُرَّادُ يَوْمـــاً لِمَوْرِدِ فَلِي عِنْدَ ذَاكَ الرَّبْعِ أعْذَبُ مَوْرِدِ "[٢]"

كما تكثر في قصائد الحجازيات الدعاء بالسقيا لهذه الديار ، كذلك فالشاعر على البعد والنوى يلقي عليها التحيّة ؛ ففي تربتها حلّ خير الخلق محمد عليه الصلاة والسلام ، يقول:

سَقَتْ غَادِياتُ المُزْنِ تُرْبَ مَعَالِمٍ بِهَا كَانَ للأحْبَابِ رَسْمٌ وَمَعْهَدُ

وَحَيَّا عَلى نَأي الدِّيارِ بِيثْربِ ثَرَى حَلَّـــهُ خَيْرُ الأنَامِ مُحَمَّـــدُ "[٣]"

كذلك يذكر الحالة التي تصيبه إذا سمع ذكر البلاد المقدسة ، فيتمنى أن يسعده السعد فيزورها ، على الرغم من بعدها يقول في القصيدة الثامنة:

تَميلُ بِهِ الأطْرابُ شَوْقَاً إلى الحِمَى وَتَعْطِفُهُ الأشْوَاقُ إن ذُكِرتْ نَجْدُ

مُنَاهُ عَلى بُعْدِ الدِّيـــارِ وَشَحْطِـــهَا زِيَارتكـــمْ لو أنَّهُ يُسْعِدُ السَّعْـــدُ "[٤] "

---

[١]- الديوان: ص ١٥٩-١٦٠،المحصب :مكان رمي الجمرات بمنى ،ج٥، ص٦٢ ياقوت الحموي: معجم البلدان(مرجع سابق)

[٢]- نفسه:ص١٢٨

[٣]- المصدر السابق: ص ١٧٠

[٤]- الديوان: ص١٢٤

الزهـــــــد والتصوّف:

الزهد لغة: "الزهد والزّهادة في الدنيـــا ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة ،والزهـــد ضـــد الرغبة، والتزهيد في الشيء وعن الشيء : خـــلاف الترغيب فيه ، وزهّده في الأمر:رغّبـــه عنه ."[١]"

أما في الاصطلاح: فهو "الاعتدال، وقمع شهوات النفس ، وترك ما يشغل عن الله، ثم الكفّ عن أمور الدنيا جميعاً؛ بتخليه القلب والتقشف التام، وترك كل ما هو مخلـــوق. لذلك فان مصطلح الزهد يدلّ على معنى أوسع من القناعة، فالقناعة هي الاعتدال ، وقمع شهوات النفس؛ بل هو أوسع من الورع أيضاً ،فهو الكفّ عن المحارم والتحرج منها"[٢]"

لقد كان العرب في الجاهلية يعيشون حياة لا يقيدها شيء ولا يحدها دين ،إلى أن جاء الدين الإسلامي الحنيف بمبادئ جديدة تدعـــــو إلى العودة إلى الله والإنابة إليه ، وتمدح المعرضين عن الدنيا ،الذين يجاهدون النفس ويكبحون جماحها، ويعرضون عن متع الحياة الرخيصة ، والزهد لا يكون الا في الدين خاصة ، فالإنسان بجد أمامه متع الدنيا وشهواتها ، ويستطيع أن يمتع نفسه بها ؛ ولكنه يعرض عنها ترفعاً ، واحتقاراً لها.

وكان من شأن هذه القيم الإنسانية وأمثالها الخلوص لله والانقياد إليه والتوجه إلى العمل الصالح ، أن أخذ كثير من المسلمين في صدر الإسلام أنفسهم بالزهـــد ، ممتثلين بروح الدين أن الزهد في الدنيا يحبب الإنسان إلى ربه.

وهكذا" نرى في صدر الإسلام أن كثيرا من الصحابة ينصرفون عن متاع الدنيا ،ويحيون للنسك والزهد،والابتهال إلى الله والتوكل عليه،والتطلع إلى ما وعد الله- جل وعلا _به عباده الصالحين." "[٣]"

---

[١]- ابن منظور : لسان العرب :لسان العرب (مصدر سابق) ،مادة(زهد) .
[٢]- أحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد: دائرة المعارف الإسلامية، ، دمشق : دار الفكر مادة(زهد)
[٣]- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس (مرجع سابق) ص٢١٦

والزهد ظاهرة نفسية كان لها أكبر الأثر في الشعر العربي، "فهو حنين الروح إلى مصدرها الأول، ولمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها، والرغبة عن نعيمها، وتفضيل نعيم الآخرة عليها".[١]

لقد كانت هذه الموجة من الزهد "رد فعل لموجة المجون التي انغمس فيها كثير من الأندلسيين ،كما كانت للمحن السياسية وكثرة الحروب والفتن وانحسار الإسلام عن تلك البقعة الغالية أثر في تقوية نزعة الزهد في نفوس الناس." [٢]

أن المتتبع لهذه الموجة التي احتدمت في هذا العصر يلحظ أنها" لم تكن وليدة عصرها فحسب ، وإنما كانت امتداداً لتيار الزهد الذي انتشر في الأندلس في العصور التي سبقت الموحدين ، وبخاصة في عصر الطوائف ؛ حيث ظهرت موجة قوية من الزهد سلك طريقها نفر من الخاصة والعامة، إما ثورة على الظلم والفساد أو بدافع من التدين والورع ،أو بعامل اليأس من تحقيق ما يطمحون إليه أو لمرض أو شيخوخة ..."[٣]

وكان لدولة الموحدين دور بارز في تقوية موجة الزهد ، وقد كان محمد بن تومرت مؤسس دولتهم زاهداً وله شعر في الزهد ، ويروي المراكشي عنه في المعجب :" إنه قبل خروجه إلى المعركة كان يستدعي العباد والزهاد ،ويطلب إليهم الدعاء له " [٤]

لقد كان يتنازع ابن الصباغ ومن شابهه من الشعراء الزهاد ، وهو ابن لهذه البيئة التي سارت على طريق الزهد نزعتان :خارجية وأخرى داخلية .

أما الخارجية فهي الصراع الديني القومي بين المسلمين والنصارى ؛ " حيث لم يجد العرب المسلمون بداً من البحث عن بديل آخر ، فاتخذوا لهم متجهاً الديار المقدسة ،يتشبثون بتربة قبر الرسول عليه السلام، يعفرون وجوههم نادبين ، طالبين النجدة والخلاص ليس من

---

[١]- سراج الدين محمد: الزهد في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، ص٢٣
[٢]- فوزي سعد عيسى : الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، (مرجع سابق)ص٥٦
[٣]- المرجع السابق ،ص٥٧
[٤]- المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (مصدر سابق)، ص٢٨١ وما بعدها

الأزمة الخارجية ،والحصار المسيحي فقط بل الخلاص من الأزمة النفسية ، طالبين التطهر من أدران الذنوب والشهوات المادية ، التي انغمسوا بها ، والتي كانت وراء ما هم فيه من المذلة والمهانة ."[١]"

ويضاف إلى العوامل الخارجية عوامل داخلية توازيها من صميم المجتمع الأندلسي، وتتجلى " في ذلك الجانب الحضاري المترف،وما استحدثه هذا المجتمع من فنون اللهو ، ورخص من أنواع المتع المغرقة في تطرفها،كمجالس الخمر والغلمان والجواري،والجهر بالمتع الحسية من طرف الشعراء والوشاحين والزجالين .

وكان لا بد لهذا التطرف في الانحلال أن يولد نزعة دينية قوية ، وتبرز عدة فرق من الزهاد والمتصوفين ، خصوصا في العصر الموحدي ، كابن عربي ، والششتري[٢] وأبي العباس المرسي وابن سبعين وغيرهم."[٣]"

والناظر في ديوان ابن الصباغ يجده قريباً من هذه المعاني،انظر إليه في هذه القصيدة يتحسّر على زمانه الماضي ، ويؤكد أن التجارة التي أقامها لم يكن فيها الرابح ، والسبب يعود إلى جهله ،وأنه لم يكن صاحب العقل السليم ، فيقول :

وَاحَسْرَتَاً مِمَاتَــكِنْ جَوَانِحِي ... وَلَّى شَبَابِي بالزَّمَانِ الصَّالِحِ

سَاعَاتُ تَجْرِ قدْ تَصرَّمَ وقتُها ... مَا كُنْتُ فِي أسْوَاقِها بالرَّابِح

ضَيَّعْتَــهَا جَهلاً ومَا تَضْيِيعُها ... مِنْ فِعْلِ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ رَاجِحِ"[٤]"

كذلك فان الشاعر قد ترفع عن مدح العالمين بمن فيهــم الملوك والخلفاء والوزراء، في حين أن الشعراء يسارعون إلى ذلك،وهو صاحب العلاقة الحميمة مع الحكام وعلى الأخص الخليفة المرتضى، وهذا من أعظم الزهد فهو يمتنع عن مدحهم ويوجــه مديحه إلى خير

---

[١]- فاطمة طحطح : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ،(مرجع سابق)، ص ٣٠٢

[٢]- الششتري : أبو الحسن علي بن عبد الله النميري (٦١٠- ٦٦٨هـ) متصوف فاضل أندلسي ، نعته صاحب نفح الطيب بعروس الفقهاء من أهل ششتر من أعمال وأدي آش (بسام عبد الوهاب الجابي : معجم الأعلام"مرجع سابق" ص ٥٢٣)

[٣]- فاطمة طحطح: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ،(مرجع سابق)، ص٢٠٣-٢٠٥

[٤] – الديوان : ص ١٢٨

الخلق محمد ﷺ؛لأن هذا المديح برأيه هو الكهف الحصين والحرز المكين ،وبه يطمع أن يعتق من النار يوم القيامة، ، فالإنسان إذا بالحكام حضي بنوالهم ، لكن ابن الصباغ يزهد في ذلك ، يقول:

تَرَكْتُ امْتِدَاحَ العَالمِينَ ولُذْتُ مِنْ ... مَدْحِ خَيْرِ الخَلقِ بالعُرْوةِ الوثقى

سَأجْعَلُهَا كَهْفِي وَحِصْنِي وَمَلجَئِي ... لعَلّيّ بالأمْدَاحِ أسْتَوْجِبُ العِتْقا

وأشْدُو بِهَا فِي كُلِّ نَادٍ مُرَدِدَاً ... أطَارِحُ فِي شَجْوِي وَأشْجَانِي الوُرّقا

وانْتَبِحُ الأرْوَاحَ مِنْ نَحْوِ يَثْربٍ ... فتَأرج لِي نَفْحاً وَتَعْبَق لِي نشقاً"[1]

وللشاعر– كما أسلفنا في البداية – تسع عشرة قصيدة في الزهد ،وتكاد معظمها يشترك في صفة واحدة ؛ حيث جاءت بأسلوب الخطاب للآخر،يجرد فيه الشاعر من نفسه إنساناً يحادثه ، ويبثه المواعظ والنصائح ،وهذه برأيي نابعة من التجربة ،والحياة السابقة التي عاشها الشاعر فجاءت رداً على ما بدر منه في هذه الحياة. كذلك يظهر في هذه القصائد الألم والحسرة ، وتتسم بالتوبيخ على المعاصي ، والتحقير لهذا الإنسان الذي قضى حياته باللهو والتصابي ، ولم يحقق في حياته ما أراده، فهو يوبخ نفسه على لهوه ، ويطلب إليه أن يزهد بها ، ويعود إلى ربه يقول:

عصيتَ مولاكَ يا سعيدُ ... ما هكذا يفعلُ العبيدُ

عُبَيْدَ سوءٍ عصيت جهلاً ... لم ينْهَكَ الوعدُ والوعيدُ

مضتْ لياليكَ في التصابي ... وأنْتَ عَنْ رُشْدِها بعيدُ

واهاً علَى العُمْرِ قدْ تَقضّى ... ولَمْ أنَلْ مِنْهُ مَا أريدُ"[2]

---

[1]– الديوان : ص ١١٨

[2]– نفسه : ص ١٥٣

وفي قصيدة أخرى يؤكد أن لبّ التزهد هو هجر الدنيا ونعيمها ، والمنام ودفئه ، والعمل على الطاعات وتخليص النفس مما يكدرها، وصوم الهجير ،والبعد عن ما تشتهيه الأنفس؛ حيث يقول :

هَجَرُوا المَضَاجِعَ وَالتَّنعمَ وَالهَوَى قامُوا عَلى قَدَمِ المَتَابِ الأحْمَدِ

طَرَدُوا المَنَامَ عَن الجُفون وأيْقظوا جَفنَ السُّهَادِ إلى الإلِه الأوْحَدِ

خَلصُوا مِنَ الكَدَرَاتِ لمَّا أخْلصُوا ولِذاكَ فازُوا بالنَّعِيمِ الأرْغَدِ

صَامُوا الهَجِيرَ وأظْمئوا فِيهِ الحَشَا فَغَدا يُرْوَى مِنْ لذِيذِ المَوْرِدِ"[1]"

ونستطيع أن نقول إن قد نظم ابن الصباغ في شعر الزهد ،وفي هذا اللون إعراض عن الدنيا ومباهجها والعزوف عن كل ما فيها من ألوان اللهو والمجون ،وقد كان هذا طبيعياً في مجتمع كالأندلس . لكن الملاحظ أن الفقهاء كانوا أصحاب سلطـــة كبيرة جعلت هـــذا التيار الزهدي يتفوق على غيره.وقد نظم الشعراء أشعار الزهد بدافع تقليدي، إلا أن آخرين قد كان شعرهم الزهدي نابعـــاً من إحساس ديني ، ولا ننس أن دولـــة الموحدين كانت قائمـــة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أئمتها كانوا ينادون بتطبيـــق الشرع.

نظم ابن الصباغ في الزهد بدافع ديني ،فلقد شعر بندمـــــه على أيامه السابقة ،وأدرك غرور الدنيا ؛ فأخذ يذكر ذنوبه طالباً مرضاة ربه وعفوه ، وهي ظاهـــرة تبدو طبيعية لكل من انغمس في الملذات، فلا بدّ من ساعات ندم ، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن ابن الصباغ قد أشار غير مرة إلى ما كان من ملذاته في شبابه ،وأنه عندمـــا تقدمت به السنون أخذ يأسف ويندم عليها ،وهذا يبدو جلياً في موشحاته فقد أطلق عليها المكفرات وهي تكفير لما سبق من سني عمره وندم على ما قاله من أشعار في سالف حياته.

---

[1]-الديوان:ص١٨٩- ١٩٠

وفي قصائده ،وهو يحدِّث هذا الإنسان المُجرَّد ويحثّه على المحافظة على عينيّهِ ومنعهما عن مراقبة المحرمات،وأن يكون مراقباً لمولاه في كل وقتٍ ويحافظ على جوارحه من التعرض لمحارم الناس؛ فالله يراقبه ، وأمامه يوم عصيب، يقول:

أمْسِكِ عِنَانَ الطَّرْفَ عِنْدَ جِمَاحِهِ فَأَمَامَهُ يَوْمٌ فُدِيتَ عَصيبُ

رَاقِبْ إلهكَ فِي الجَوَارحِ كُلِّهـا فَبِكُلِ جَارحَةٍ عَلَيْكَ رَقِيبُ

مَرَضٌ يقَلِيكَ لا يَزَالُ وَ مَا لـَـهُ إلاَّ الدُّمُوعُ الهَامِلاتُ طَبِيبُ "[1]"

مما سبق من نصوص نجدّ أن شعر الزهد عند ابن الصباغ كان زجراً للنفس حتى لا تقع في المحرمات ، وتهذيباً لها وحثاً على سلوك الطريق القويم، والابتعاد عن المعاصي ، ولم يكن كباقي شعراء الزهد الآخرين الذين تحدثوا عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تنتشر في المجتمع.

أما **التصوّف** فقد وجد في المجتمع الإسلامي منذ العصور الأولى ،وإن كان مختلفاً عنه في العصور التالية ، وقد ظهر في عصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين أطلق عليهم أهل الصفة : وهم الفقراء الذين عاشوا في مسجد النبي ، وقد تكفل المسلمون بتأمين حاجاتهم .

والصوفيّ في اللغة "من صفا قلبه ، ومن صفّى ربّه قلبه فامتلأ قلبه نوراً ، ومن حلّ في عين اللذة بذكر ربه " "[2]"

وقد يأتي الزهد والتصوف في معنيين متقاربين ، وقد يكون الزهد أسبق من التصوف ،يقول ابن خلدون في مقدمته :" واصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل

---

[1]- الديوان : ص١٩٤

[2]- عبد الحليم محمود: قضيّة التصوّف (المدرسة الشاذليّة)، القاهرة : دار المعارف، ط٢، ص ٤٣٦

عليه الجمهور من لذةٍ ومالٍ وجاهٍ ... فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصوفية أو المتصوفة" "[١]

ومن خلال نصّ ابن خلـــدون السالف نجدّ أن أسباب ظهـــور التصوّف في المجتمـــع الإسلامي يعود إلى قناعة هؤلاء العابدين بحقيقة الزهد ورغبتهم في التخلص مما ينغمس به جمهور المسلمين ، وينفردون بالعبادة والطاعة، بالرغم أن كثيراً منهم أصحاب أموالٍ وثراء ويعد التصوّف من الأغراض الشعريّة التي تناولها ابن الصبّاغ في ديوانه الشعريّ ،ووجدناه ينحو منحى الصوفيين في الحديث عما يلاقيه الصوفي من المواجد والأذواق ، كما أنه يذكر الحقيقة المحمديّة وأن الله خلق الدنيا والناس إكراماً لمحمد عليه السلام ، فالشاعر يتحدث عن الوجد الذي قد يقتل صاحبه لكنه سعيد بهذا القتل ، ويعبر عن العاشق الذي يفنى في محبوبه وهو الرابح الغانم، يقول :

فُؤادٌ بِأوْصَابِ الجَوَى يَتَضَرَّمُ وَقَلبٌ وإنْ أوْدَى بِهِ الوَجْدُ يَنْعَمُ

تُصِيبُ قُلوبَ العَاشِقِينَ رُمَاتُهَا وَلَكِنْ يحُبِّ الرَّاشِقِين تُتَيَّـــمُ

وَلَمْ أرَ كالعُشَّاقِ تَفْنَى"[٢]" نُفُوسُهُمْ وَعِنْدَهُمُ فِي الحُبِّ ذلِكَ مَغْنَمُ "[٣] "

ويتحدّث الشاعر عن بعض المصطلحات الصوفيّة ، التي يطلقها الصوفيّون على الماديّات المحسوسة ، فيذكر الخمرة والسكر والقهوة... يقول:

وَإذَا سَكِرتَ بِخَمْرَةِ"[٤]" الحُبِّ التِي تُهْدِي السُّرُورَ وَتَـــدْهِبُ الأتْرَاحَا

بَرِّحْ بِحُبِهِمُ ولـــدْ بِجَنـــابِهِمْ واجْعَل سَمَاعَكَ فِي الوجُودِ صِيَاحَا

---

[١]- ابن خلدون : المقدمة، بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط٤، ١٩٧٨، ص٤٦٧

[٢]- الفناء : سقوط الأوصاف المذمومة ، كما أن البقاء وجود الأوصاف مودة ، والفناء فناآن ، أحدهما ماذكرنا وهو بكثرة الرياضة ...والثاني وهو بالاستغراق في عظمة الباري.(علي زبعور: في العقليّة الصوفيّة ونفسانيّة التصوّف، بيروت : دار الطليعة، ط١، ١٩٧٩، ص١٧٤

[٣]- الديوان : ص ١٦١

[٤]- خمرة الحبّ مصطلح صوفي يشير إلى النور الساطع من جمال المحبوب. الديوان : حاشية ص ١٣٩

لا لَوْمَ للسكْرَان"[١]" فِي شَرْحِ الهَوَى إنْ فَاه بالسِّرِّ المَصُونِ وَبَاحَـا

ولَتبْتَكِرْهَا قَهْوَةٌ تشْفِي الجَوَى وَتُعِيدُ أحْزَانَ الورَى أفْرَاحَـا

هِيَ أسْكَرَت أهْلَ الهَوَى وكَسَتْهُمُ عِنْدَ التَوَاجُـدِ"[٢]" حُلّةً وَوِشَاحَـا "[٣]"

ومن الأمور التي شغلت الشاعر الصوفي الحبّ الإلهي، لذلك لجأ إلى طرقٍ شتى في التعبير عن هذا الحب ، فسلك طرق الشعراء العذريين وهم يعبرون عن ديار المحبوبة؛ فوقف على الطلل وبكاه ،وذكرته الرياح القادمة من بلاد المحبوبة أيام الأنس والصفاء، وقد أطلق على هذه المحبوبة أسماء : ليلى وسعدى وسلمى ،ووصف الألم والعناء الذي يصيبه بسبب هذا الحبّ ،فالشاعر يصف تدفق أحاسيسه عند الرياح التي تذكره بالديار، ويأمل أن يأتي يوم يعود إلى بلاد المحبوبة يقول الشاعر:

يَهيجُ غَرَامُ الصَّبِّ إن هَبَّتِ الصَّبَا فيذْكُرُ أوْطَـانَاً بِها أَلِفَ الصِّبَا

ضَمَانٌ عَلى عَيْنِ المُتيم إنْ هَفَا بَريقُ اللوى أن يَسْكُبَ الدَّمْعَ صَيِّبَا

فَيَا مَعْهَدَ الأحْبَابِ والصَّبُ نَازِحٌ مَتَى يَرِدِ الظمْآنُ فِي الرَّيِّ مَشْرَبَا

وَيَا دَارَ سَلمَى والتَّبَاعُد بينَنَا مَتَى الدَّهْرُ يُدنِي مِنْكَ صَبَاً مُعَذَّبَا "[٤]"

ويذكر في ديوانه الحقيقة المحمديّة،وقد بدأت فكرة هذه الحقيقة منذ أن "جهر الحلاج"[٥]" (ت ٣٠٩هـ) بأفكاره إذ قال: إن للنبيّ عليه الصلاة والسلام صورتين مختلفتين ، صورته نوراً أزلياً قديماً كان قبل تكوّن الأكوان ، ومنه استمدّ كل علم وعرفان ، ثم صورته نبياً

---

[١]- السكر : استيلاء سلطان الحال ، وهو غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب ، وهو أحد مقامات الوجد.(السهروردي : عوارف المعارف، بيروت: دار الكتاب العربي ، ط١، ١٩٦٦، ص٥٢٧)

[٢]- التواجد ، الوجد : ما يصادف القلب، ويرد عليه بلا تكلف، وقيل هو بروق تلمع،ثم تخمد سريعا. (علي زبعور: في العقليّة الصوفيّة ونفسانيّة التصوّف، (مرجع سابق)، ص١٨١)

[٣]- الديوان: ص١٣٩-١٤٠

[٤]- نفسه : ص١٥٩

[٥]- الحسين بن منصور الحلاج فيلسوف ، يعد تارة في كبار المتعبدين الزهاد ، وتارة في زمرة الملحدين ، أصله من بيضاء فارس ، ونشأ بواسط العراق ، وانتقل إلى البصرة ، وحج ،ودخل بغداد ، وعاد إلى تستر ، وظهر أمره سنة٢٩٩هـ فاتبع بعض لناس طريقته في التوحيد... كان يأكل يسيراً ويصلي كثيراً ويصوم الدهر(خير الدين الزركلي: الأعلام ،بيروت: دار العلم للملايين، ط٨، ١٩٨٩، ٢٦٠/٢) وانظر الفهرست ١٩٠/١، طبقات الصوفيّة٣٠٧

مرسلا ، وكائناً محدثاً تعين وجوده في زمان ومكان محددين." "[١]"

وتنصّ الحقيقة المحمديّة " أن محمداً أول التعينات الذي تعين به الذات الأحديّة ، قبل كل تعين ، فظهر به ما لانهاية له من التعينات ، فهو واحد فرد في الوجود لا نظير له" "[٢]"

ويؤكد ابن عربي هذه الحقيقة في كتابه فصوص الحكم تحت عنوان فصّ حكمة فرديّة في كلمة محمديّة : " أكمل موجود في هذا النوع الإنسانيّ ، ولهذا بُدىء به الأمر وختم ، فكان نبياً وآدم بين الماء والطين "[٣]" ويؤكد ابن الصباغ هذه الحقيقة بقوله:

لولا النَّبيّ مُحَمَّدٍ وَوَجُودُهُ للدين والدُّنْيَا مَعاً مَا كَانَا "[٤]"

كما انه يصوّر حالته ، وهو المحب الذي شغف حباً وشوقاً إلى محبوبه

تالله لابَرحَ العمـــــيدُ"[٥]" ممرغاً بالتربِ خداً والدمــُوع تجودُ

أسَفا عَلى مَا كَانَ مِنْهُ وَحَسْرةً فَعَسَى اللياَلِي بالوصَالِ تجودُ "[٦]"

لكننا لم نلحظ لدى ابن الصباغ الغزل الصريح بالمؤنث كما هو الحال عند ابن الفارض وابن عربي ، فإننا نجد كلا الشاعرين يصف المرأة وصفاً حسيّا ، كقوله:

مَا بَيْنَ مُعْتَرَكِ الأحــْدَاقِ والمُهــَجِ أنَا القتيــلُ بلا إثْمٍ وَ لا حــَرَجِ

وَدّعْتُ قَبْلَ الهَوَى رُوحِي لما نظَرت عيْنَاي مِنْ حُسْنِ ذَاكَ المنْظَرِ البَهَجِ"[٧]"

وقول ابن عربي:

مَرَضِي مِنْ مَرِيضة الأجْفَانِ عَلّلانِـــي بذكْرهــَا عَلّلانِي

---

[١]– عبد المنعم عزيز النصر: العلاقة بين الحقيقة المحمديّة والإنسان الكامل عند الشاعر الشيخ ابن عربي، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعيّة ، مجلد ٢٧، عدد ٢، ٢٠٠٠، ص ٣٧٣

[٢]– زكي مبارك : التصوّف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، "مرجع سابق" ، ج١، ص٢٠٢

[٣]– محي الدين بن عربي : فصوص الحكم ، بقلم أبو العلاء عفيفي، العراق : دار الثقافة ، ص٢١٤

[٤]– الديوان: ص١٨٦، بيت٢١

[٥] – والعميد : المشغوف حباً وشوقاً ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، راجعه عبد المنعم (باب عمد)٦ بيروت: دار الكتب العلمية ،ط١ ،٢٠٠٣ ،م٣ ،ص٣٧٢

[٦]–الديوان : ص١٣٠

[٧]– ابن الفارض : الديوان ، بيروت : دار صادر، ١٩٩٨، ص١٤٤

بأبي طِفْلَــةٌ لَعُوبٌ تَهَــادَى مِنْ بَنَاتِ الخُدُور بَيْنَ الغَوَانِي"[١]"

الحكم والمواعظ

الحكمة : من باب "حكم"، وهي: " معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، والعلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه ، والعمل بمقتضاها "[٢]"

والمواعظ من "الوعظ، والعظة ،والموعظة ، وهي النصح والتذكير بالعواقب ، قال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يليّن قلبه من ثواب أو عقاب" " [٣]"

إن موضوع الحكم من الموضوعات المهمة التي لها أثر واضح في حياة المجتمع ، وهي باب فسيح مترامي الأطراف تمتد جذوره بعيداً في أعماق التاريخ والأدب العربي الإسلامي. ولما جاء الإسلام بكتابه الكريم وضع للناس أسساً عديدة في قواعد الحياة وأثار في قلوبهم وعقولهم حكماً كثيرة ونظرات صائبة في الحياة والناس وعلاقاتهم وأفكارهم وتصوراتهم .

ولم يكن غريباً أن تحتل الحكمة في الشعر مكاناً بارزاً ويعنى بها الشعراء عناية كبيرة حتى كاد بعضهم يتخصص في النظم بها وإفرادها بالاهتمام ، وكان في مقدمة هؤلاء أبو العتاهية وأبو تمّام والمتنبي وغيرهم.

لقد جاءت المواعظ مترافقة مع الحكمة وهذا أمر طبيعي عند شاعر أفرد بعض قصائده للوعظ ،ولقد كان من البديهي أن يستوعــب الشــعر غرض الوعظ والإرشاد ضمن القصائد الدينية ، ذلك أن الإسلام يحث على اتخاذ العبرة والعظة والتفكــر في الماضــي والحاضر والوقوف عند الأحداث التي تنتاب الأمم في أحوال سلمها وحربها وقوتها وضعفها، ومــن

هنا فقد كان الوعظ قديماً في الأدب والأخلاق والاجتماع قاعدة أساسية من قواعد بنــاء المجتمع الأندلسي في الأندلس .

---

[١]- ابن عربي :ترجمان الأشواق ، بيروت : دار صادر ، ١٩٦٦، ص٧٨

[٢]- أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد : دائرة المعارف الإسلاميّة ، (مرجع سابق)، م٨، ص١٤، باب (حكم) .

[٣]- ابن منظور : لسان العرب (مصدر سابق) باب وعظ

وعند دراسة الديوان نجد أن في مقدمة موضوعاته الحث على الاستقامة وترك المماراة، والجدل، والدعوة إلى التمسك بأهداب الدين، وبيان ضرورة إقامة العلاقات بين الأفراد على أساس العقيدة الإسلامية .

كذلك يجد القارئ أن الحكمة تحتل جانباً مهمـــا فيه ، وهذا عائد إلى ثقافة الشـــاعر، والتجربة الكبيرة التي عاشها والظروف التي أحاطت به فجعلته ينطق بالحكمة ويعبر عنها .

انظر إليه في هذه القصيدة المليئة بالحكم والمواعظ وهو يتحدث عن الدنيا وتقصير الإنسان فيها،وما يتوجب عليه أن يفعله لجبر هذا التقصير، يقول :

أرَى الوَجْدَ سِلكاً نَظْمُهُ دُرُّ ادْمُعِ ... قلِلـــهِ مِنْ دُرٍّ بِهِ حَسُنَ السِّـــــلكُ

فَغَسِّلْ بمَاءِ الدَّمْعِ أغْيَارَ مَا مَضَى ... وَخلِّـــصْ بنَارِ الحُزْنِ مَا سَبَكَ الإفكُ

إذَا مَازَجَ الدِّينَارَ خَبَـــثٌ فإنَّمَـــا ... يخلصُ ما فيهِ مِنَ الخَبَثِ السَّبْـــكُ

ألا إنَّمَـــا الدُّنيا مَتَاعٌ لأهْلِهَـــا ... فأولَها حرصٌ وآخِرُهَـــا تَـــرْكُ"[1]"

فهي أبيات تفيض بالحكمة والوعظ الصادق لهذا الإنسان،وعليه أن يخلص نفسه مما علق بها من أدران .

وانظر إلى بيتي الحكمة، والى هذا التشبيه ،فهو يرى النفس كالدينار الذي أصابه الخبث ولا يزيله إلا إعادة السبك ،وانظر إليه في وصفه الدنيا وحرص الإنسان عليها وبعد ذلك يتركها .

وفي هذا البيت يطالعنا بحكمة جميلة منبهاً الإنسان أن لا يصيبه الغرور إذا صفت له دنياه، فهو كالزهر الذي يقطف عندما يصبح نضراً يانعاً :

وإذا بَدَا للزَّهْرِ حُسْنُ نَضَارَةٍ ... فمَآل نُضْرَةِ حُسْنِهِ أنْ يُقْطفَا "[2]"

وفي قصيدة أخرى نجد حكمة ، وهو يعالج مشكلة اجتماعية أخرى،يقول:

---

[1] – الديوان : ص١٥٨

[2] – نفسه: ص٢٠٥

كمْ يُعْذلُ المُشْتَاقُ في البَلوَى بكُم وَالعَذْلُ في البَلوَى مِنْ الإغْرَاءِ"[١]"

ويقول الشاعر في موشحه له واصفاً الدنيا وتمسك الإنسان فيها وأن النذر أتته ، كما أنه يعطي الأدلة والبراهين على ما يقول فالزهر إذا أينع فالقطاف قد حان ، وهذا الشيب ينذر بقرب الرحيل ، كما انه ينعى على هذا الإنسان الذي لايقبل وعظ الواعظين ،ولا يفيده نصح الناصحين ، فالحياة مليئة بالنذر فعليه اغتنام ما بقي من عمره في إصلاح ما فسد في أوله ،ويشبه الشيب الذي عمّ رأسه بالثمرة التي نضجت وحان قطافها وهذا دليل على قرب الوفاة يقول :

تَنَبَّه فهَذا أوَانُ الرَّحِيـــــلْ وَشَمِّــرْ فليْسَ عَليهَــا مُقِيمْ

إذَا أيْنَعَ الزَّهْرُ حَانَ القِطَافُ وَزَهْرُ مَشِيبكَ بالرَّأسِ صَافْ

وَبَدْرُ الشَّبابِ عَرَاهُ انْكِسَافْ وَصُبْحُكَ عَوَّضَتْهُ بالأصِــيلْ

وَمَا إنْ رَأيتَ أصِيلاً يَدُومْ

لقَدْ اسْمَعَ الوَعْظُ لو تَسْمَعُ وَأنْذَرَكَ الشَّيْبُ لوْ يَنْــفَعُ

جَمَعْتَ وَآليتَ لاتَرْجِــع وَإنَّ أمَامَكَ خَطْباً جَلِيل

وَبَيْنَ يَدَيْكَ مُقَامَــــــاً عَظِيمْ"[٢]"

كما أننا نجد مواعظ الشاعر موزعة على قصائد الديوان، تحدث عن الدنيا،وما فيها من الفتن والمصائب، ومن ذلك قوله :

ألا إنَّمَــــا الدُّنْيَا فَدَيْدُكَ فَتْنَةٌ وَفِتْنَتُــها مِنْ أعْظَمِ الوزْرِ في الحَشْرِ"[٣]"

---

[١]- الديوان: ص٢٠١ وانظر أيضاً القصيدة ٣٢:بيت٩ ، القصيدة٤١: بيت ٣

[٢]- نفسه:ص ٢٦٢

٣- المصدر السابق :١٨٩ ، بيت ١٠

أما النوع الآخر الذي يلجأ إليه الشاعر في إيراد الحكم والمواعظ وهو الاستحضار ، فالشاعر يستحضر إنساناً يحادثه ويبثه هذه الحكم والنصائح ، أو إنه يجعل من مظاهرة الطبيعة تحمل صفات إنسانيّة فتحاوره.

وقد يهدف من خلال هذا الأسلوب إلى وعظ نفسه بهذا الأسلوب ، وعليه اغتنام الفرص والمواسم التي تمرّ به وهذا نابع من روح الدين، فالأجر يتضاعف للإنسان في بعض أشهر العام ، وفي هذه الأبيات يدعو إلى اغتنام فرصة قدوم شهر رجب ليخلص نفسه من التقصير ، ويتحدث عن فضائل هذا الشهر الكريم ،حيث يقول :

نَبِّهْ فُؤادَكَ مِنْ طَويلِ رُقادِهِ وَاعْمَلْ عَلى رَفْضِ الهَوَى وَجِهَادِهِ

شَهْرُ الأصَبِّ أَلَمَّ طَارِقُ وَفْدِهِ أَكْرِمْ بوَفْدِ شَقَّنَا ببُعَادِهِ

مَنْ كانَ فِي غَيٍّ وَطُولِ بِطَالَةٍ فليَتنبه هَذا أوَانُ رَشَادِهِ

قُمْ ليلَهُ مُتَوسِّلاً مُتَبتِّلاً وَمُرَتِّلاً للذكْرِ فِي أوْرَادِهِ

خَدِّدْ بدَمْعِ العَينِ خَدَّكَ فِي الدُّجَى وَاضْرَعْ لهُ يَكْفِيكَ طُولُ بِعَادِهِ"[1]"

ومما جاء فيه الوعظ على شاكلة المعاتبة والتوبيخ ، وبلسان المحاسب لهذا الإنسان الذي يتمتع بالخيرات لكنه لا يعمل مقابلها، ويبرز فيها الخطاب على شاكلة الحوار الذي يفضي إلى الإقناع ،يقول :

حَتى مَتى عَنّا تُصَدّ وَتُعْرَضُ هَلاّ إلى نَفَحَاتِنَا تَتَعَرَّضُ

إنْ كَانَ أعْيَاكَ السّقَامُ وَطِبُّه فالجَأ إليَّ أنا الطَبيبُ المُمْرِضُ

ما حَلّ سَاحَتَنَا أناسٌ أعْرَضُوا عَنّا فَلاذوا بالرِّضَا إلا رَضَوا

سَهِرُوا وَنِمْتَ وإنَّهُم مذ ودَّعُوا فِينا لَذِيذَ مَنَامِهِمْ مَاغَمَّضُوا"[2]"

---

١ – الديوان :ص ١٤٥

[2]– نفسه : ١٤٤

كذلك فإنه يؤكد المعاني السابقة في ضرورة تدارك ما بقي من العمر في أداء الطاعات، بعد أن أمضى سني عمره السابقة في اللهو؛لأن الله يعفو ويصفح عمن آب إليه،وسلك سبيل الرشد ، وعلى الإنسان أن يذكر المواهب التي أنعمها الله عليه ،وعليه أن يشكر مولاه عليها يقول :

أفْنَيتَ عُمْرَكَ فِي المُحَالِ تعلّلاً لمَّا عَلِمْتَ بأنَّنا يا مَنْ سَلا

نَعْفو وَنَقبَـــلُ مَنْ إلينا أقــبَلا هَبْ أننا جُدْنا عَليكَ تَفَضُّلا

أيَعُودُ دَهْرٌ بالبــِعَادِ قدَ انْقضَى

اذْكُرْ مَوَاهِبَنَا التِي أوتيتَهَـــا وَمَرَاتِباً مِنْ فَضْلِنا ولّيَتهَا

لوْ شُكْرَهَــا وَاليْتَهُ لوَليْتَـــها لكِنْ تَرَكْتَ حُقوقَنا وَنَسِيتَها

وَلِذَاكَ ضَاقَ عَلَيْكَ مُتَّسَعُ الفَضَا"[1]"

والذي يظهر من خلال التأمل في النصوص السابقة أن أسلوب الوعظ والإرشاد كان ذا أثر واضح ومكانة بارزة في حياة المجتمع الأندلسي ، وأن الحكمة تعتمد على ثقافة الأديب ، وتبين تجربته الواسعة في الحياة ،وان شعر الزهد كان له حضور واسع في تجربـــــة ابن الصباغ الشعرية وان هذا الشعر قد جاء ممزوجاً بالحكمة ، ودعوة من الشاعر إلى نفسه وغيره أن يتراجع عن لهوه وانغماسه بالملذات ،وأن يعود إلى ربه فجاءت بصورة خطاب النفس ،فالشاعر يخاطب نفسه ؛ وكأنه إنسانا يحادثه،وقد يكون السبب أن الشاعر أراد أن يبعد الملل والسأم عن نفس المتلقي والسامع ؛ لأن أسلوب الخطاب اقرب إلى المستمع وأوقع في النفس .

---

١ – الديوان : ص٢٢٥

أشكال شعريّة :

وقد طرق ابن الصبّاغ أشكالاً شعريّة غير القصيدة التقليديّة مثل :اللزوميات والموشحات والتخميسات والتربيع ، وقد كانت هذه الأشكال معروفة في عصر الشاعر ، وسيأتي الحديث تالياً عن هذه الأشكال.

اللزوميات :

اللزوميات، أو لزوم مالا يلزم :هو أن يلزم الشاعر نفسه بأمور لا تلزمه في قصائده الشعرية ؛ حيث يلزم الشاعر إنهاء أعجاز الأبيات مثلا بثلاثة حروف متشابهة في كل القصيدة .وقد عرفه القزويني:"هو أن يجيء قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع"[١]

ونجد أن ابن الصباغ الجذامي قد نظم أشعاراً ،وقد ألزم نفسه بأمور لا تلزمه،وقد تعددت أغراض الشاعر التي نظمها ضمن فن اللزوميات،فقد كانت في المديح النبوي والشكوى من البعد والهجران ،والحجازيات والشوق إلى الديار المقدسة.

ففي المديح النبوي نجد الشاعر يلتزم الأحرف(ا،م،ه إضافة إلى أف الإطلاق)في جميع أبيات القصيدة،وفيها يعدد بعض صفات الرسول –عليه السلام– التي علت على السماكين، وأن النبي إمام أهل المكارم ،فيقول :

سَأَنْظِمُ مِنْ فَخْرِ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ... لآلِيءَ لا يَبْلى جَدِيدُ نِظَامِهَا

تَضَوَّع طِيباً عَرْفُهَا فكأنّه ... تَضَوَّعُ أزْهَارٍ بَدَتْ مِنْ كِمَامِهَا

سَجَايا أَبَتْ إلا السِّمَاكَين مَنْزِلاً ... ففاقَ عَلى العَلْيا عُلوّ مَقامُها

خِلالٌ إذا لاحَتْ قِبَابٌ لِذِي عُلا ... تَنِيفُ فتعلوها قِبَابُ خِيَامُهَا

---

[١]–الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٧١، ص ٥٥٣

إذا يمَّمُوا يَوْمَاً إمَامَ مَكـــــارمٍ فأحْمَدُ قدْ أضْحَى أمَامَ إمَامِهَـــا"[١]

ومن نظمه في الشكوى من الهجر ،وقد التزم في قصيدته الأحرف (ا،ن،ه)،وفيها يصف ألم البعد والهجران،وما باتت عليه حاله من البكاء الدائم وتنكر الأهل والأعوان له ، يقول:

لمَّا هَجَرْتُم وَاصلَتْ أشْجَانُهَ وَتَجدَّدت ببعـــــادِكم أحْزَانُهُ

لا يَعْرف الشُّوقُ المُبرَّحُ والجَوى إلا مُعَنّى ضرمت نيرانه

رَسَمتْ بَلابِلُهُ بصفـــــح فـــؤادِهِ رَسْمَاً بصفْحَةِ خَدِّهِ عِنْوَانُهُ

إنْ تسْألوا عَنْ أمْرِهِ أو شأنِهِ فَشُؤونُهُ تُخْبِرْكم ما شأنه"[٢]

ومما جاء في الحجازيات ضمن شعر اللزوميات قصيدته التي أنهى أبياتها بالأحـــــرف (و،ع،ه) في كامل القصيدة ، وفيها يخاطب السائرين إلى ديار الحبيب ، إن وصلوهـــا أن يصفوا حاله ،وقد براه طول البعاد ،كذلك يصف شوقه إلى ترب الحبيب والأمل في زيارتها حيث يقول :

أقولُ لركبٍ يمموا أرض يثربِ قِفوا العيسَ إن جئتم مغاني ربوعِها

ونادوا بهاتيك القبابِ وعرّضوا بنفسٍ براها طولُ فرطِ ولوعِهـــا

تناءت بها الأيامُ عن أهلِ وُدّها فأهْمَـــلت الأجفانُ وبلَ دموعِهـــا

تحِنّ إلى نجدٍ وتشتاقُ يثربـــاً وما شوقُهـــــا إلا لتربِ شفيعها"[٣]

وبعد فقد لاحظنا أن الشاعر ابن الصباغ الجذامي قد تميز عن معاصريه في أنه نظم في هذا اللون من الشعر وهو اللزوميات ،ووجدنا أن قصائده قد تعددت في هذا النظم في أغراض شعرية متعددة كالمديح النبوي والشكوى من الهجر، والشوق إلى الديار ،كذلك في الحجازيات والشوق والأمل في زيارة الديار المقدسة.

---

[١]- الديوان : ص١٢١

[٢]- نفسه: ص١٤١

[٣]- المصدر السابق: ص١٧٦

الموشـــحات :

الموشحات لون من ألوان النظم ظهر في الأندلس في القرن التاسع الميلادي ،"وهو فـــن له قواعد معينة ، ويتميز بخروجه على العروض الخليلي أحياناً، ويخلو أحياناً من الوزن الشعري ،كما أنه يستعمل اللغة الدارجة والعجمية في بعض أجزائه ،ويرتبط بالغناء، ويعتبر الموشح من الفنون الخالصة والتي ظهرت في الأندلس ويعود الفضل إليهم في اكتشافه"[١]".

يقول ابن خلدون في مقدمته : " وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً منه سمـــوه الموشح ينظمونه أسماطاً وأغصاناً أغصاناً يكثرون من أعاريضها المختلفة ،ويسمون المتعدّد منها بيتاً واحداً .. ويشتمل كل بيت على أغصان " [٢]"

وقد اشتق اسم الموشح من الوشاح "وذلك لأن خرجاته وأغصانه كالوشاح،والوشـــاح بكسر الواو والاشاح بكسر الهمزة :هو كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر تتوشح المرأة به ، وهو أيضاً سير منسوج من الجلد يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها" "[٣]"

والموشحات: فن من فنون النظم استحدثت للغناء، وقد تناولها الشعراء واستظرفوها، ووجدوا النظم فيها أيسر وأهون من التزام طرق النظم القديمة ، "وقد كان من الممكن أن تعد الموشحات حدثاً جديداً ،وثورة في الشعر العربي لولا أن ما بها من جدة لا يعـــــدو الوزن والقافية، أما موضوعات الموشحات ومعانيها ، فتكاد تكون نفس الموضوعـــات والمعاني التي طرقها الشعراء الأقدمون، فناظمو الموشحات قد قصروا موضوعاتهـــــا على الأنواع المعهودة في أشعار من سبقوهم من غزل ومدح وهجاء ونحو ذلك،ولو قدر

---

[١]- مصطفى عوض الكريم : فن التوشيح ، (مرجع سابق) ،ص١٧

٢- ابن خلدون :المقدمة، (مصدر سابق) ،ص٥٨٣

[٣]- مصطفى عوض الكريم: فن التوشيح ، (مرجع سابق)ص ١٨

للموشحات أن تنظم في المسرحيات أو القصص لشهدنا نوعاً جديداً كل الجدة في الأدب العربي ،ولكانت المخالفة بينها وبين شعر القدماء من كل وجه"[١]"

وقد عرّف ابن سناء الملك الموشح بأنه :" كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أبيات وخمسة أقفال، ويقال له التام،وفي الأقل من خمسة أبيات وخمسة أقفال ويقال له الأقرع .فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال والأقرع مأابتدئ به بالأبيات" ."[٢]"

أغراض الموشحات:

لم تكن الموشحات عند بداية ظهورها مخصصة للزهد أو التصوّف بل كانت في أول الأمر مقصورة على الغناء ، و تعالج موضوعات متعـــددة كالغزل والخمريات ووصف الطبيعة

وبعد فترة خرج الموشح عن المألوف في نظمه ؛ حيث " أصبح مطيّة ذلولاً للمدائح حينما استغلها الوشاحون للوصول إلى مدح الملوك وهباتهم.وكانت موشحات المدح في كثير من الأحوال تبدأ بداية غنائية –كالعهد بالقصائد التقليديّة – ثم تنتقل إلى موضوع المدح،وربما اختتمت بمثل ما بدئت ،وكانت تغنى في حضرة الممدوح" "[٣]"

ويعد المديح النبوي قريباً من هذا الموضوع ، وهو المدح للحكام بعامة ، لكنه يختلف عنه في الصدق عند قائله ، فهو شعر يعمق إيمان الشاعر ويقويه .

وقد أورد المقري عدداً من موشحات ابن الصباغ الجذامي في كتابه أزهار الرياض في مدح الرسول عليه السلام،يقول المقري :" ومن ذلك جملة موشحات انتقيتها من كلام الشيخ الإمام الصالح الزكي الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الصبّاغ الجذامي ، وقد ألف ذلك بعض الأئمة في تأليف رفعه للسلطان المرتضـــى صـــاحب مراكش وأطال فيه من موشحات هذا الشيخ ،وسائر نظمه، ولم أذكر من موشحاته إلا الغرر على أنها كلها غرر

---

[١]– إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر، بيروت: دار القلم ، ط٤ ،١٩٧٢ ص٢٤٢

٢– ابن سناء الملك : دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودت الركابي ، دار الفكر ، ط٣ ١٩٨٠ ، ص٣٢

[٣]– مصطفى عوض الكريم : فن التوشيح، ص٣٣ ،(مرجع سابق)

يقول في موشحة له في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – "[١]"

لأحْمَدَ بَهْجَةٌ * كالقمَرِ الزَّاهِرْ * فِي أبْرَاجِ السَّعْدِ

عَلاؤهَا يَسْبِي *بنورِهِ البَاهِرِ * كُلَّ سَنَى مَجْدِ

فِي عَالَمِ القدْسِ* قـُدِّسَ عَلِيَاهُ * فَفَاقَ فِي الحَمْدِ

بالبَدْرِ والشَّمْسِ * يُزْرِى مُحَيّاهُ * فَجَلّ عَنْ نِدّ

للجنّ والإنسِ * أرْسَلَهُ الله يَهْدِي * إلى الرُّشْدِ

أدَلّ بالحُجَّة * وأمْرِهِ الظَّاهِرِ * مَنْ خَانَ للعَهْدِ

بالشَّرْقِ والغَرْبِ * ثناؤه العَاطِرِ * أنْدَى مِنْ النَّدّ "[٢]"

فهذا الموشح يتكون المطلع فيه من ستة أغصان، وكذلك يتكون الدور من تسعة أسماط وهذه هي الطاقة القصوى في نظر دارسي الموشحات ،ومما يلاحظ عليه من ناحية موضوعية أن الوشاح قد جعله في ثلاثة أعمدة ، بحيث يستطيع الباحث أن يزعم إننا لو حذفنا العمود الثاني وقرأنا الأول والثالث في المطلع والأدوار جميعها فإنها تعطينا معنًى كاملاً ، وإذا حذفنا العمود الثالث من الموشح ، وقرأنا العمود الأول والثاني فإنها تعطينا معنىً مفيداً أيضاً ، مما يجعل الباحث يظن أن النظم وإعمال الفكر هما السائدان في صنعة هذا الموشح.

وقد كان التصوّف من الأغراض التي تناولتها الموشحات ، وقد نظم فيه من الشعراء المعاصرين لابن الصباغ ابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ،والششتري المتوفى سنة ٦٦٨ هـ وتشتمل الموشحات الصوفية على المصطلحات الصوفية ورموز الصوفيين كالحال في القصيدة التقليديّة. كما أنّ الوشاحين ذكروا الزهـــد ، وأكثروا الحديث عن الدنيا الغرورة

---

[١]– المقري : أزهار الرياض ج٢ ص٢٣٠(مصدر سابق) ، الديوان : ص ٢٧٧ – ٢٧٨

[٢]– الديوان ٢٧٧–٢٧٨

الفانية،وعلى المرء أن لايفني عمره في اللهث وراءها،وأن يندم ويتحسر على ما فاته من العبادات .

وقد احتلت الموشحات جانباً كبيراً من ديوان الجذامي، وقد وصلت إلى سبع وثلاثين موشحة ،وتناولت أغراضاً متعددة : كالمديح النبويّ ،والحجازيات وفيها يتوق ويحنّ إلى الديار المقدسة ،وفي بعضها الآخر يتحسر ويتألـــم على عمره الذي ذهب .

ويجدر بنا في هذا المجال أن نذكر نوعا آخر من موشحات ابن الصباغ وهو ما يسمى بالمكفرات . والمكفرات :هي قصـــائد قالها الشاعر بعد أن كبر وتاب وفيها يعتذر عما سلف من حياته ،ويعتذر عن قصائد سابقة قد تكون في اللهو والمجون .

ويعرفه ابن سناء الملك في دار الطراز ، حيث يقول : " والموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد ،وما كان منها في الزهد يقال له المكفر ،والرسم في المكفر خاصـــة ألا يعمل إلا على وزن موشح معروف وقوافي أقفاله ،ويختم بخرجه ذلك الموشح ليدل على انه مكفره ومستقبل ربه عن شاعره ومستغفره " "[١]"

وذكر الرواة عن زهديات ابن عبد ربه ،" إن ابن عبد ربه تاب آخر حياته من أمور ارتكبها في شبابه ، واعترف بذالك اعتراف مُتألم ، وأقلع عن صبوته ؛ وعمد إلى أشعار في الغزل فمحصها ، ونقضها بمثلها في الزهد ، والمواعظ ، وسمّاها الممحصات، وجعلها على أعاريض تلك ،وقوافيها". "[٢]"

أما الأغراض التي تدور حولها موشحات ابن الصباغ الجذامي هي:المديـــح النبوي وهذا النوع من الموشحات –كما مرّ في قصائد المديح النبوي– تذكر وتبين عـــدداً من صفات النبي ﷺ كقوله في هذه الموشحة، وفيها يعدد بعض صفـــات الرسول الكريم وأنه

---

[١]– ابن سناء الملك:دار الطراز في عمل الموشحات ص٣٨(مصدر سابق)

[٢]– جبرائيل جبّور : ابن عبد ربه وعقده، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٩، ص ٤٦

صاحب القدر العالي، ومقامه لا يضعف ولا يتزعزع ، وأن الخلق يهتدون بنوره والمسلمون يهيمون ويتشوقون إلى مدحه والتمتع بهذا المديح ، يقول في إحدى الموشحات :

لأحْمَدَ المُصْطَفَى مَقَامُ جَلّ عَلاءً فَلا يُرَامُ

بِنُورِهِ يَهْتَدِي الأنَـــامُ فأيُّ شَمْسٍ وَأيُّ بَدْرِ

قَدْ أطْلَعَتْـــــهُ لنَا السُّـــعُودُ

أمْدَاحُ خَيْرِ الوَرَى نَعِيمُ نَحْنُ أنَاسٌ بِهَـا نَهِيـــمُ

يا مَادِحِيهِ بِاللهِ قُومَوا خُوضُوا بنا مَوْجَ بَحْرِ فَخْرِ

مَنْ مَاتَ فِيهِ فَهُوَ شَهِيـــدُ"[1]"

وفي موشحة أخرى يتحدث الشاعر عن معجزة من معجزات الرسول _عليه السلام_ وهي معجزته في انشقاق القمر،يصف كذلك النبي الكريم بأنه بدر الأفق وشمس المعالي ، يقول:

لأحْمَدَ تَعْنُو الأقْمَارْ فَـعَـــــدِّدْ فَخَـــــارَهْ

ونَظِّمْ ثنَاه أشْعَارْ وَلازِمْ وَقَـــــــــارَهْ

لأحْمَدَ بَـــدرِ الأفقِ وَشَـــــــمْسِ المَعَالِي

تأجَّـــجَ نارُ الشُّوقِ"[2]"

وفي حديثه عن ا لشباب ، والتحسّر على زمانه ، وتمني عودته ،يصف أيام الشباب بأيام الرضا، واللوعة التي تعتمل قلبه لفقده تلك الأيام ، ومن التحسر على الشباب يذكر بعض الأماكن المقدسة ،كما انه يصف نفسه تتمايل طرباً، ويتمنى لو تكون له جلسة يقيل بها في تلك الديار المباركة فيقول :

---

[1]- الديوان : ص٢٦٧

٢-نفسه : ص٢٨٤، وانظر أيضاً ص ٢٧٧-٢٨٠

ولّى الشَّبَابُ وَانْقَضَى فدَمْعُ عَينِي فِي انْهِمَالْ

وفِي الحَشَا جَمْرُ الغَضَا لِفَقْدِ هَاتِيـــــكَ الليَـــالْ

يا عَهْدَ أيَّـــامِ الرِّضَا هَلْ رَجْعَةٌ تُدْنِي الوِصَالْ

تُحْيِي بهَـــــا نفْسٌ وَامِـــقْ مُضْنَى الفُؤادِ مُسْتَهَـــــــــــامْ

نـــَحْوَ العُـــــــــذيبِ وَبَارِقْ يَحْدُو بِهِ حـــَــــــــادِيَ الغَرَامْ

يَهيجُهُ لمْعُ البُرُوقْ شَوْقاً وَيُشْجيهِ الهَدِيلْ

إنْ سَرَى ذِكْرُ العَقِيقْ تَرَاهُ مِنْ شَوْقٍ يَمِيلْ

مُرَادُهُ البيتُ العَتِيـــقْ فَهَلْ لهُ بهِ مَقِيـــلْ "[1]"

ويبرز في موشحات ابن الصباغ الجذامي الشوق والحنين إلى زيارة الأماكن المقدسة ، ويصف شوق وحبه إلى تلك الديار ،كذلك يصف نفسه دائم التمني ،ويأمل أن تتحقق أمانيه ؛ فاق حبه الوجود أجمع ، فيقول :

صَبٌّ صَبَاباتهُ شُهُودُ وَقتلُـهُ فِيكـــــــــمْ مُبَاحْ

مُنـــَـــاهُ لوأسْعَفَ التَّمَنِّي مِنْ كاسِـــــــريهِ جَبْرُ الجَنَاحْ

قد فَـــاقَ في وَجْدِهِ الوُجُودا ولَـــجَّ فِي لـــُجَّـــــــة الغَـــــــــرَامْ

فَصَارَ فِي حُبِّهِ فَريـــــدا وقـــَامَ فِيـــهِ أعْلَـــى مُـــــــقَـــامْ

بنفْسِهِ جَـــدّ أنْ يَجُـــودا فلا اعْـــــــــتِراضٌ ولا مَـــــلام"[2]"

كما تكثر في هذه الموشحات ذكر الشيب الذي أصبح يغطي فوديه ، وليس هو إلا نذير الأجل المحتوم ، فعليه أن يبكي على هذا العمر الذي أفناه ، فهو ليس بباق ،وفي كل يوم ينعى النعاة نفوساً كان لها عزٌّ في حياتها ، وأنه لا تلاق بعد هذا الفراق

أرَى صُبْح شَيبٍ أنْذرْ بـــِفَـــوْدِكَ قدْ بَانْ

---

[1] – الديوان: ص ٢٤٧، وانظر أيضاً ص٢٦٥

[2] – نفسه : ص٢٥٣، وانظر ص٢٩٤– ٢٩٥

فأسْكُبْ عَبَراتِ الخَدّ تـــَـوْكافاً وَتهْتانْ

خَدّد بالدَّمُوع الــخَدَّا فلـــْستَ ببَاقِــي

السْتَ تَرَاهَـــــا تَعْدَى
بـِنَعي الفـِــــــرَاق نُفـُــوسُ تفانتْ فقدا

فَمَا مِنْ تـــَــــــلاق"[١]"

لكن الصبغة الرئيسية التي تصبغ موشحات ابن الصباغ الجذامي أنها تحمل الطابــع التكفيري، أو ما يسمى المكفرات،فقد قال الشاعر هذه الموشحات تكفيراً عما قاله في فترة من فترات حياته السابقة ، وفيها يخاطب صاحبه _ ولا أظنه إلا يخاطب نفسه_ إن كان قد ابتعد عن دائرة المسلمين فليكن على ثقة بعفو مولاه لعباده التائبين العائدين ، وليترك اللاهي يلهو بمعصياته ، حيث يقول :

نَأتْ بي الأوْطانْ عَنْ حَضْرَة الإحْسَانْ

ولا مُـعِـيـــــنْ

يا صـــَــــاح والقصْدُ أنْ يَظْـــــفَرَ الأوّاهْ

بقـَــــــصْـــدِهِ

إن شـــــفـــــك البعد فثــق بعفو الله

من عبـــــــــــده

وَدَعْ فَتـــَــــى يَشْدُو واللهْوُ قدْ ألهَـــاهْ

عَنْ رُشْـــــــــــــدِهِ"[٢]"

كذلك فقد كتب موشحة في المناجاة لله عزّ وجلّ، وفيها يخاطب غيره على طريقـــة التجريد من النفس إنساناً يحادثه، ويبثه النصائح والمواعظ، ويطلب إليه مناجاة الله في داجي الليل، ويطلب منه العفو والمغفرة ، وأن يرحمه فليس للعبد المقصر صبر على النار، وهي

---

[١]- الديوان :ص٢٦٥، وانظر ص٢٧٣
٢- نفسه: ص٣٠٤-٣٠٥

ترمي بالشرر ،كذلك فالشاعر يتشفع بالنبي الكريم ﷺإلى الله أن يعافيه من النار وأن يخلصه من عذابها ؛ حيث يقول :

قمْ وَناجِ اللهَ فِي داجِي الغَلَسْ تقتنِـــــــــــي الأرْوَاحْ

والتَمِسْ للعَفْوِ فِيـــهِ مُلْتَمَسْ وَانْتَبِـــــه قَـــدْ فاحْ

عرفُ أزْهَارِ الرِّضَى ثمَ اقْتَبِسْ نـُـــــورَ رُشْـــدٍ لاحْ

يا رَحِيمَ الخَلْقِ رُحْماكَ فقَـــدْ جئتَ مَعْنَـــــى رَحِيبْ

يا إلهي عَبْدَ سَوْءٍ قدْ قَصَـــدْ يَشْتَـــــــكِي بالذُّنوبْ

منْ لـــهُ يَوْم تَرَامَى بالشَّـــرَرْ زَفَرَاتُ الجَحِيـــــــــمْ

فبـــهَادِي الخَلْقِ مِنْ خَيْرِ البَشَرْ عَافِنِـــــــي يَا رَحِيمْ"[1]"

ومن الأغراض التي طرقـــها ابن الصباغ في موشحاته إرسال الرسائل إلى الجناب المقدس وقد خاطب فيها حادي الجمال إن يصف لهم حاله،فهو فتىً خائف ، دموعه تنهمر كالمطر

باللهِ يَا حَادِيَ الأجْمَـــالِ إنْ جيتَها زَائِرَاً صِفْ حَالِي

وقلْ فَتـــىً بَاتَ فِي أوْجَالِ بخَدِّه أدْمُـــــعٌ تنهَمِـــــرُ

وقدْ حَكاهَـــــــا فِي سَحِّها المَطَـــرُ"[2]"

ولابن الصباغ موشحة في الزهد وذم الدنيا ، ينبه فيها على اعتبار الدنيا الدنيّة،ويزجر ذوي النهى عن مطاوعة شياطينها الغويّة، فالعاقل من ينظر إلى الدنيا ويعتبر ، ففيها عن الشر ما يزجر ، فكم من معلم قد تهدم واندثر، أنها أبيات مليئة بالحكمة والموعظة.

قِفْ بالدُّنَا واعْتَبِـــرْ إن كُنْتَ مِنْ أهْلِ العِبَر

وانْظُر لها وازْدَجِـــر فإنَّ فِيهَا مُزْدَجَـــــر

---

[1]- الديوان: ص ٢٥٩ وانظر أيضاً ص٢٩٨

[2]- نفسه: ص٢٧٣، وانظر أيضاً ص ٢٨٧، ٣٠٠-٣٠١

كمْ مَعْلَـــــمٍ قدْ دُثِر فلمْ يَبِنْ مِنْـــهُ أثَـرَ "[1]"

من خلال ما سبق نلاحظ أن ابن الصباغ الجذامي قد تناول في موشحاته الأغراض عينها التي تناولها في قصائده الشعرية ، ولا تكاد تختلف كثيراً عنها .

فقد تناول المديح النبوي ،وذكر فيه عدداً من صفات الرسول عليه السلام ومعجزاته، وتحدث عن الزمان الماضي وحلول الشيب وبكى على تقصيره في تلك الأيام ،وقال في الزهد ، ونبه المقصرين أن يعتبروا من الذين سبقوهم فالدنيا مليئة بالعبر،وذكر الأماكن المقدسة واهتز شوقاً وطرباً إليها ،وبعث إلى ساكنيها الرسائل تفيض شوقاً وأسىً .

لكننا نفتقد في الموشحات الحديث عن الرثاء النبوي وشعر المناسبات ، كما إننا لا نجد التصليات النبوية فيها كما هو الحال في التخميسات .

---

[1]- الديوان : ص٢٤٨ ، وانظر أيضا ص٢٨٢، ٢٨٩

التخميسات :

التخميس من الأشكال الشعرية التي طرقها ابن الصباغ الجذامي "ويكون التخميس بأن يقسم الشاعر مقطوعته إلى أقسام يتضمن كل قسم منها خمسة أشطر ،لها نظام خاص في قوافيها ، وقد يكون كل قسم من هذه الأقسام مستقلاً تمام الاستقلال في قوافيه وأوزانه "[١]"

والتخميس كذلك "هو أن يقدم الشاعر على البيت من شعر غيره ثلاثة أشطر ، على قافية الشطر الأول ، فتصير خمسة اشطر ولذلك سمي تخميساً "[٢]"

وقد نظم ابن الصباغ في التخميسات ، وله واحد وعشرون تخميساً ،وهي قصائد في المديح النبوي ، والزهد ، والحجازيات.

وقد قام ابن الصباغ بتخميس بعض قصائده التي قالها ، كذلك فقد خمّس قصائد لشعراء آخرين منهم القدماء ، ومنهم المعاصرين له كالمرتضى ،وهناك قصائد خمسها الشاعر ولكنه لايعرف لها قائل

ومن تخميساته في المديح النبوي،وفيها يمدح النبي الكريم علية السلام، وأن الشمس تطلع من داره عليه السلام،وأن الشاعر يتلذذ بمدح النبي،ومن ذلك قوله :

لِي بامْتِدَاحِ الهَاشِمِيِّ تَوَلُّعُ فأنا أنظِّمُ مَدْحَهُ وأرَصّعُ "[٣]"

إنْ كُنْتمُ تَبْغُونَ ذَلِكَ فاسْمَعُوا الشَّمْسُ مِنْ دَارِ النُّبُوَةِ تَطلعُ

فلِذَاكَ نُورُ الأفقِ عَنْهَا يَسْطَعُ

باسْمِ النَّبيِّ الهَاشِمِيِّ تَعَوّذِي وَبذِكْرِ أعْلامِ المَعَالِمِ أغْتَدِي

وبِأرْضِ طَيْبَةَ والعَقِيقِ تلذُّذِي أرْضِ النَّبيِّ مُحَمَّدِ الهَادِي الذِي

---

[١]- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر،(مرجع سابق) ص ٣٣٨-٣٣٩

[٢]- السيد أحمد الهاشمي ، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، بيروت: دار الكتب العلميّة ،ط١، ١٩٧٩، ص١٤٢

[٣]- الترصيع سجع في بيت الشعر الواحد ، فالنهايات التي تنتهي بها كل فقرة تسمى ترصيعاً وهي هنا في (تولع) و (أرصع)

سَنّ الشَّريعَة فَهْيَ حَتْمَاً تُتبَعُ"[١]"

كذلك فقد قام ابن الصباغ الجذامي بتخميس أشعار شعراء قدماء ومعاصرين له ، ومن ذلك تخميسه لقصيدة منسوبة إلى الخليفة عمر المرتضى في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم،ويذكر فيها فضل شهر ربيع الأول،حيث يقول

يا ليْلة رُفِعَتْ بأحْمَدَ حُجْبُهَا لمَا دَنا بَعْدَ التَّبَـــاعُدِ قُرْبُهَا

وتَطلّعَتْ للسَعَدِ فِينَا شُهْبُهَا ضَاءتْ لهَا شَرْقُ البلادِ وَغَرْبها

وتأنّقت أرجَاؤها تَنْعِيما"[٢]"

وفي الديوان تخميسات لشعراء غير معروفين في الزهد، وقد أكتفى الناسخ بقوله هي لبعض الصالحين ، وفيها يتحدث عن العمر ، والتقصير في العبادة، وفيها يوجه حديثه إلى نفسه بصيغة المخاطب ،وهو الذي يلهو ويلعب و لم يعتبر بما يراه أمامه من الموت ،يقول:

أيامُ عُـمْرِكَ قدْ قطّعْتَها مَرَحَـاً فِي نَحْوَةٍ للهَوَى تَسْتَعْـــذِبُ البُرَحَا

أما اعْتَبَرتَ وَشَادِي المَوتِ قدْ صَدَحَا أصْبَحْتَ ترفِلُ فِي ثوْبِ الصِّبَا مَرَحَا

والقومُ فِي عَرَفاتِ العُرْفِ قدْ نَسَكُـوا

نالوا الذِي أمّلوا مِنْـــهُ بقرْبهمُ حَازُوا المَكَارِمَ فِي رَوْضَاتِ عزِّهمُ

فلو رَأيْتَ سَنَـا أنْوَارِ زَيِّهِـــمُ والنُّورُ يبهرُ حُسْنَـاً مِنْ وجُوههمُ

كالبدْر فِي غَسَقٍ يَزْهُو بهِ الفَلَكُ"[٣]"

---

[١]- الديوان : ص٢٢٩، وانظر أيضاً التخميس ص٢٠٩، ٢١٩

٢- نفسه : ص٢٤١

[٣]- المصدر السابق: ص٢٣٣ وانظر أيضا ص٢٢٣، ٢٣١

التربيع:

وهو ذلك الشعر :" الذي يقسم فيه الشاعر قصيدته إلى أقسام ، يتضمن كل قسم منها أربعة أشطر ، ويراعي الشاعر في هذه الأشطر الأربعة نظاماً للقافية ، فقد تكون كلها مقفاة بقافية واحدة ووزن واحد . "[١]"

وقد نظم ابن الصباغ تربيعاً واحداً في الحجازيات ،والشوق لزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، وفيها يستوقف حداة الحمول أن يتوقفوا قليلاً لعله يشفي غليله برؤية الأماكن الحجازية ، فقلبه مشوق إلى أن يقيل بالعقيق ، يقول:

حدَاة الحَمُول قفُوهَا قَلِيلا عَسَى بالطَّلول سَأَشْفِي الغَلِيلا

أَلكنَاف نَجْدٍ تُرى فِيكَ تُجْدِي دُمُوعٌ بِخَدِّي تُوَالِي الهُمُولا

فُؤادُ المَشُوق ذوي بالخُفُوق مَتَى بالعَقِيق سَيُلْفِـــي مقِيلا

حَمَام الغُصُون بِشَجْو القُنُون أَهَجْنَ شُجُونِي برَوْض أَصِيلا "[٢]"

كذلك فهو يشكو غربته وبعده عن بلاد الحبيب، كما أنه يصور حاله الحزينة الباكية يقول :

فَنَى الصَّبُ بَرْحَاً وَحزْنَاً وَنَوْحاً وَبالغَرْبِ أَضْحَـــى غَرِيباً ذَلِيلا

يَوَدَّ المُعنـــّى لـــوَ أَنْ قَدْ تَغَنَّى لدَى الصَّبِ مُضْنَى فَيَجْدو الحَمُولا [٣]

---

[١]-إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر" مرجع سابق" ص٣٢٦

[٢]- الديوان : ص٢٢٦

[٣]- نفسه : ص ٢٢٧

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

تمهيـــــد:

بدراسة النصوص والأشكـــــال الشعرية التي نظمها ابن الصباغ الجذامي من الوجهة الفنية ، أي النظر إلى تلك النصوص من حيث الخصائص والسمات التي امتازت بها على صعيد الموضوعات والألفاظ والأفكار وأشكال التعبير وغيرها ، وقد حاولت أن أسلط الأضواء على الخصائص البارزة والسمات الهامة التي تعتبر المثل القائمة على بقية الخصائص والسمات.

وتناولت الدراسة الفنية النظر في تركيب القصيدة الشعرية ،أو الأشكال الشعرية وما تألفت أجزاؤها وطريقة الشاعر في نظمه الشعر ،وما يفعله في البدء والختام .

وتناولت الدراسة الفنية الموضوعات والأفكـــار والمعاني من حيث تضمنهـــا للمعاني الإسلامية واحتوائها الظروف الاجتماعية التي عاشها الشاعر ،وتصوير للعواطف والمشاعر كما تبدو في العبارات والألفاظ .

كما عنيت الدراسة في هذا الفصل بكثرة المعاني وتكرارها وترادفها ضمن الموضـــوع الواحد . كما أن هذه الدراسة تناولت المباحث البيانيّة القائمة على الخيال وأدواته ووسائلـــه من تشبيه واستعارة ، والفنون البديعيّة القائمة على الطباق والمقابله وغيرها.وقد وجدت تشابهاً كبيراً في الأشكال الشعريـــة التي نظمها ابن الصباغ الجذامي ؛ لذا فقد جاءت الدراسة الفنية لجميع الديوان بجميع أشكاله الشعرية دراسة واحدة .

بناء القصيدة الشعرية

مقدمة القصيدة

إذا أمعنا النظر في افتتاحيات القصائد التي نظمها ابن الصباغ لم نجد أنها تحمل طابعاً معيناً يميزها عن غيرها ، لكن الملاحظ أن هذه المطالع تكاد تكون متلائمة مع الغرض الأساسي للقصيدة، وبما أن ابرز الأغراض الشعرية هي:المديح النبوي والزهد والغربة والحجازيات،فإن هذه المطالـــع قد تلاءمت مع موضوع القصيدة ، ففي قصائد المديح النبوي نجد أن الشاعر يبدأ هذه المقدمة بالمديح مباشرة ، يقول:

إذا ذكرتُ أمداحَ مجدِ محمّدِ فنشرُ فتيقِ المســـــكِ والنّدِ ينفحُ

وإن تليتُ آياتِ فخرِ علائِهِ فأطيارُ دوحُ الشوقِ والوجدِ تصدحُ"[١]"

وفي ذكر شرف النبي ﷺ يقول الشاعر في قصيدة أخرى، والتي مطلعها :

تنعمْ بِذِكرِ الهاشمي محمـــدِ ففي ذكْره العيشُ المهنأ والأنس

أيا شَادِياً يَشْدُو بأمْداح أحْمدِ سَمَاعُك طِبٌ ليْسَ يعقبهُ نَكـــسُ

فكرر رَعَاكَ اللهُ ذِكرَ مُحَمَّدٍ فقدْ لذَّتِ الأسْمَاعُ وارْتاحَتِ النفسُ"[٢]"

ونجد الشاعر في مطالع قصائده يتحدث عن الطلل والمنازل ، فهو يخاطب رفيقه على طريقة السابقين أن يقف لينظر حالة الطلل، يعلوه الحزن ، باكياً على الأيام الخاليه:

انْظـــرْ علَى أي حَالٍ أصْبَحَ الطـــلَلُ وَخَلِّ دَمْعَكَ في الآفَاقِ يَنْهَمِلُ

وَقِفْ وُقُوفَ حَزِينٍ في مَنَازِلِهـــمْ وَابْكِ الذِي أسْلفتْ أيَّامُكَ الأوَلُ "[٣]

---

[١]- الديوان : ص١٢٢

[٢]- نفسه: ص١١٩ - ١٢٠ ، وانظر أيضاً ١٢٣-١٢٤

[٣]- المصدر السابق:ص١٨٠،

ومن قصائد الحجازيات ، والشوق إلى تلك الديار وفي مطالع القصائد التي يمتزج فيها الغزل بالزهد" ومما نظمه في تذكر أوطان الصبا وهو من الزهد المنظم على طريقة الغزل والتصوف.... وما شابه شيء من الهزل قوله:

يَهيجُ غَرَامُ الصبِّ إن هَبْتِ الصبَا فيذكُرُ أوطاناً بها أَلِف الصبــا

ضمانٌ على عَيْنِ المتيمِ إن هَفَــا بَريقُ اللوى أنْ يَسْكُبَ الدَّمْعَ صَيِّبَا

فيا مَعْهَدَ الأحْبَابِ والصبُّ نازحٌ مَتَى يَرِدِ الظمآنُ في الرَّيِّ مَشْرَبَا

وَيَا دَارَ سَلمَى والتَّبَاعُدُ بيْنَنَا مَتَى الدَّهْرُ يُدْنِي مِنْكَ صَبّاً مُعذَّبَا"[١]"

كذلك نجد في الديوان المقدمات الغزليّة في عددٍ من القصائد :

مَا في الفُؤادِ وإنْ هَجَرْتَ سِوَاكَا كَلاَّ وَلا فِــي القَلْــبِ غَيْرُ هَوَاكَا

يَا هَاجِراً أضْنَى المُتَيَّمَ هَجْرُهُ قُلْ لِي مَتَى يُدْنِي الرِّضَى مُضْنَاكَا "[٢]"

ومما نظمه في استيلاء الوجد ، عند تنسم نفحات نجد ،وهو من النظام الذي امتزج فيه الغزل بالزهد، فجاء أحلى من الشهد قوله:

تنسَّــمْ هذِهِ نَفَحاتُ نَجْــــــدِ تأرَّجَ عَرْفُها فأثارَ وَجْــدِي

سَرَتْ مِنْ أرْضِهِم سَحَراً فَخِلنَا فتيقَ المِسْكِ خَالطَ مَاءَ وردِ

وَجَرّتْ فِي مَغَانِيهِمْ ذُيــــولاً فأهْدَتْ نَحْوَنَــــا أرْوَاحَ نَدّ"[٣]"

ومن قصائد الزهد نجد أن الشاعر يبدأ القصيدة بداية تحمل في ثناياها معاني الزهد ،فهو يطلب إلى سامعه أن يبادر إلى محو الذنوب ،ويتوب إلى ربه ، ويتضرع إلى خالقه في كل وقت ،وأن يكون دمع عينيه الدليل ، ومن ذلك قوله في القصيدة التي مطلعها:

بادِرْ إلى مَحْوِ الذُّنوبِ بتوبةٍ فَعَسَى رِضَا مَوْلاك مِنْك قريبُ

---

[١]- الديوان: ص١٥٩ ، وانظر أيضا ص١٦١، ١٨٠

[٢]- نفسه:ص١٣١، وانظر ١٣٣، ١٣٨

[٣]- المصدر السابق:ص ١٤٢، وانظر١٦٩، ١٧٨

واضْرَعْ إليهَ فِي الدُّجنَّةِ خَاضِعاً وسَحابُ دمع المُقلتين يَصُـوبُ"[١]"

وهناك القصائد التي تتحدث عن فضائل بعض الشهور، فهذا مطلع قصيدة يتحدث فيها عن شهر رمضان:

هَذا هِلالُ الصَّوم مِنْ رَمَضَانَ بالأفق بَانَ فَلا تَكُنْ بالوَانِـي

وافاكَ ضَيفاً فالتَزِمْ تَعْظِيمَـهُ واجْعَلْ قِرَاهُ قِرَاءةَ القُـرْآن

واغْسِلْ بِهِ خَطَّ الخَطَايا جَّاهِداً يهُمُول وَابِل دَمِعِكَ الهَتَّـان"[٢]"

وكذلك مطالع بعض القصائد في التسبيح والتحميد والاستغفار، كقوله في مطلع هذه القصيدة:

سُبْحَانَ رَبّي الوَاحِدِ المَنَّان والحَمْدُ للَّهِ العَظِيمِ الشَّان ِ

صَمَدٌ وَوَتْرٌ لا إلَـهَ كَمِثْلِهِ واللهُ أكْبَرُ دَائِمِ الإحْسَان ِ

أسْتَغْفِر ُاللهَ الذِي استِغْفَـارُهُ يَقْضِي لَنَا بالصَّفْح والغُفْرَان ِ "[٣]"

وهناك قصيدة تحدثت عن بعض مظاهر الطبيعة :فذكرت النسيم والحمام والكثير من أنواع الورود:

مَرَّ النَّسِيمُ مَعْ الأسْحَار يُشْجِينِي وَنَغْمَةُ الوُرْق ِفِي الأفْنَان ِتُقْنِينِي

وَالآسُ والورْدُ والخَيْرِيُّ يُنْعِشُنِي والأقْحُوانُ مَع النَّسْرِين يُسْبِينِي "[٤]

١- الديوان: ص١٩٣

٢- نفسه: ص ١٦٨، وانظر ص١٨٤، ١٨٨

٣- المصدر السابق: ص١٦٤

٤ - الديوان: ص١٣٦

ترابط أجزاء القصيدة

الدارس لديوان ابن الصباغ يجد أن القصيدة الواحدة تحوي موضوعات متعددة ، إضافة إلى الغرض الأساسي ، ففي قصيدة المديح النبوي مثلاً نجد الحديث عن العمر والشيب، والشوق إلى زيارة الأماكن المقدسة ، ويكاد هذا التنوع في الموضوعات يشمل معظم قصائد الديوان وقد كان الشاعر موفقاً في الانتقال من موضوع لآخر ، يقول:

لمَّا انْقضَتْ أيَّامُهُ وتَصرَّمَت وأدِيل مِنْ إيْرَاده إصْدَارَا
وَدَعَا بِهِ دَاعِي الرَّحِيل ولَمْ يَجِدْ مِنْ عُمْرِهِ عَوْنَاً وَلا أنْصَارَا
لَمْ يُلفَ فِيمَا يَرتَجِيهِ مؤَمَّـــلاً يَشْقِي السِّقَامَ وَيَطْرُدُ الأفْكارَا
إلا امْتِدَاحَ الهَاشِمِيَّ وَصَحْبِهِ فَبِذَاكَ يَجْنِي للسُّعُودِ ثِمــَارَا "[1]"

لكن في قصائد الحجازيات فإننا نلاحظ أن الشاعر مشتت الأفكار ؛ يتنقل سريعاً بين أغراض متعددة ،فهو يتحدث عن الراحلين إلى الديار المقدسة، وعن العمر ، والبعد عن المقدسات والشوق لها، وأحسب أن هذا عائد إلى شوقه الكبير إلى تلك الديار ،يقول:

هَنِيئاً لقَوْمٍ يَمَّمُوا أرْضَ يَثْربِ فَحَازوا ثَوَاباً ليْسَ يَحصرُهُ الحَدُّ
وللّـــه أجْدَاثٌ تَعطــر تُرْبهــا فَنَــمَّ ذكاءَ مِثْل مَــا نَفــَح النَّدُ
لئن حَالت الأيَّامُ بَيْنِي وبيْنِهَا وَقصَّرَ بي عُمْر ولَم يُسْعِفْ الجَدُّ
فَيَا حَادِي الأظْعَان يأمَلُ طَيْبَة تَحَمَّلْ شكايَاتِي تَكَنَّفــك الرّشدُ "[2]"

فمطالع القصائد جاءت متلائمة مع غرض القصيدة الأساسي ، وأن الشاعر قادر على حسن التخلص ، فهو ينتقل من مطلع القصيدة إلى نهايتها بسهولة ويسر ، إلا في بعــض قصائد الحجازيات نجد أن الشاعر يطرق موضوعات متعددة ،وتأتي نهاية القصيدة متوافقة مــع مضمونها ، في أغلب الأحيان.

---

[1]- الديوان : ص ١١٠
[2]- نفسه : ص١٢٤

ختام القصيدة :

أما ختام القصيدة فإننا نجد أن الشاعر يكاد يحصـــر ما ينهـــــي به هذه القصائد بثلاث نهايات هي:مدح النبي ﷺ والصلاة عليه ، والتركيز على مقام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلّم ، والتحسر على الأيام السابقة ، والدعاء لتلك الديار_ الديار الحجازية – بالسقيا وإبلاغ أهلها بالسلام،والبكاء على الزمان السابـــق ، والتحسر من عـــدم قدرته علـــى تحقيق زيارة الأماكن المقدسة.ومن ذلك قوله في إبلاغ السلام إلى ديار الرسول وفي الصلاة عليه،يقول :

ألا يا صبَا الأسْحَار عَنِّي فأبلِغَن سَلاماً كَمَا نمّتْ أزَاهِـــــرُ بالرُّبـــا

على الطَّاهِرِ الأزْكى العَلِيّ مُحَمَّدٍ وأصْحابِهِ السّامين فِي المَجْدِ مَنْصِبا"[١]"

ومن قوله بالدعاء بالسقيا إلى أهل البلاد الحجازية ، وإبلاغ السلام إلى تلك الديار:

يا أرْضَ طَيْبَة حَيّاكِ الحَيَا وَغَـــدَا يَنْهلُّ فِيكِ سَـــحَابُ المُزْن أزْمَانا

وَدُمتِ تـــُحْدى إلى مَغْناكِ أنْـــفـــُسنا بالشّوق معلنـــة سرا وإعلانا"[٢]"

كذلك يختتم الشاعر إحدى قصائده بالبكاء،وهي الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يقوم به، ويتذلل إليهم أن يقبلوه؛ ليكون سعيداً ،يقول نهاية هذه القصيدة :

وليسَ لِي حِيلةٌ أرْجو سِوى أدْمُعِ يَنْهلُّ واكِفها من الخدِّ كالمَطَر

إنْ تسْمَحُوا بِقربٍ بعد بُعْدِكـــُمُ إذنْ أفوزُ بنيلِ الأمْنِ والظفر"[٣]"

كذلك فهناك القصائد التي تتعلق بالتحسر والندم على عدم قدرة الشاعر على زيارة الأماكن المقدسة فإن نهاياتها جاءت متوافقة مع هذا الموضوع ، فيختم الشاعر قصائده باللوعة والأسى لعدم قدرته على تحقيق مناه، يقول :

كمْ رَامَ أنْ يَحْظى بزورَةِ مَعْلم المجدِ والإعْظام فيه قدْ ثوى

---

[١]- الديوان : ص١٦٠

[٢]- نفسه:ص١٧٣

[٣]-: المصدر السابق :ص١٤٣

فثناهُ عَنْ مَقْصُودِهِ ومرامِـــــهِ خَطْبٌ حَشَاهُ بالتنائِي قدْ كَوَى"[١]"

وهناك بعض القصائد تكون نهايتها متلائماً مع موضوعه ، فقصائد العتاب واللوم ؛ جاءت متوافقة مع غرضها ،يقول:

حَتَّى مَتَى لا تَرْعَوِي بِعِتَابِنَا وإلى مَتَى لا يَنْقَعُ التَّعْنِيفُ

أعْرَضْتَ عَنَّا إذ غَدَرْتَ تَجَافِياً وَحَنَانُنا أبَداً عَلَيكَ عَطُوفُ

فأنْهَضْ إلَيْنَا والتَزِمْ أبْوَبَنا فالقُرْبُ أمْنٌ والبُعَادُ مُخِيفُ "[٢]"

كذلك فالقصائد التي تحمل طابعاً صوفيّاً ، جاءت خاتمتها في الغرض نفسه ، يقول :

قدوُنَكَ فافْهَمْ فالأمُورُ جَلِيَّةٌ لِمَنْ كَانَ عَنْ أهْلِ التَّصوُّفِ يَفْهَمُ

وَلا بُدَّ مِنْ أوْرَادِ وَقْتٍ مُعَمَّرٍ وإلاَّ قَمِـنْ لذَّاتِ ذَلِكَ تُحـــرَمُ "[٣]"

ومن نهايات قصائد المناسبات ، ما ختم الشاعر به هذه القصيدة؛ والتي فيها يتوسل بالرسول الكريم عليه السلام أن لا يحرمه فضل شهر رمضان، وأن يجعل مستقره في جنة الرضوان، يقول:

يَارَبِّ بالمُخْتَار أحْمَدَ خَيْرِ مَنْ حَازَ المَكَارِمَ في دُرَى عَدْنَانِ

لا تَحْرِمَنِّي فَضْلَ شَهْرِ الصَّوْمَ وَل تَجْعَلْ مَقَرِّي جَنَّةَ الرِّضْوَانِ "[٤]"

من خلال ما سبق نجد أن الشاعر في ديوانه الشعري لم يلتزم بمقدمات معينة ؛ بل كانت مطالع قصائده تعتمد على موضوع القصيدة ،كذلك لم نجد تشابهاً في هذه المطالع ، أما في الحديث عن نهايات القصائد فإننا نجدها أكثر تخصصاً . فالشاعر قد جعل اختتام قصائده بمجموعة من الأبيات التي تكون قريبة في معانيه مثل المديح النبوي ، الشكوى ، الهجران والزهد وغيرها.

---

[١]- الديوان : ص١٢٦

[٢]- نفسه: ص٢٠٤، وانظر ص١٣٣

[٣]- المصدر السابق:ص١٦٢

[٤]- الديوان :ص١٦٩

العواطف والمشاعـــر:

ويقصد بها الانفعالات والمشاعر وألوان التعبير عن خلجات النفس والشعور بما يحس به الأديب ويتأثر بمشاهده أو ينفعل مع صوره ومظاهره ؛ فيندفع معبراً عن ذلك كله في آثاره الأدبية في الشعر والنثر.

وتعتبر "العاطفة عنصراً أساسياً من العناصر التي يتطلبها الأدب وأساساً قوياً ومتيناً من أسس قواعده وبناء كيانه والعاطفة هي العنصر الذي يميز الأدب عن سائر الفنون والمعارف والعلوم الأخرى ، وبها اكتسب الأدب صفة البقاء والاستمرار مع الحيوية ، والقدرة على إثارة مكامن النفس وإيقاظ المشاعر مهما امتدت السنون وطالت العصور ، ومهما اختلفت الأحوال وتغيرت الأمكنة والأزمان،وتباينت الثقافات في ارتفاع وانخفاض ، وتكون العاطفة في الشعر واضحة قوية ولا يكاد يخلو منها غرض من الأغراض ."[١]"

والمتتبع لديوان ابن الصباغ الجذامي بصورة عامة يجد أن عواطف الشاعر تبدو قوية في موضوعات الزهد والوعظ والمديح النبوي . كما تبدو قوة هذه العواطف في القصـــائد التي يغلب عليها الشكوى والبعد والهجران ، كما أن العواطف في هذه القصائد يغلب عليها الفخر والتعظيم للرسول عليه السلام في قصائد المديح النبوي،وكذلك الألم والحسرة والأسى في الكثير من قصائد الحجازيات،وقصائد الهجران،والشعور بالندم على الماضي الذي عاشه الشاعر.

انظر إلى قوله في مدح الرسول عليه السلام، وبروز عاطفة الفخر والتعظيم للنبي الكريم؛ حيث يقول :

سَأَنْظُمُ مِنْ فَخْرِ النَّبيِّ مَحَمَّدٍ ... لآلئ لايَبْلى جَدِيـــدُ نِظَامُهَـــــا

تَضـــوَّع طيباً عَرْفُها فكأنَّه ... تَضَوّعُ أزْهَارٍ بَدَتْ مِنْ كِمَامَهَـــا

---

١ – أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ،القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة،١٩٧٣ص ٢١-٣٤ ، وعبد الحكيم بلبع : النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، القاهرة: مكتبة وهبة ١٩٧٥ص٩٠-٩٣

سَجَايَا أبَتْ إلا السّماكين مَنْزلاً ففاقَ عَلى العَليا عُلوُّ مَقامِهـــــا

خِلالٌ إذا لاحَتْ قِبَابٌ لِذِي عُلا تنِيفُ فَتَعلوهَـــا قِبَاب خِيامِهَـــا"[1]

وكذلك قوله وهو يصف اللوعة والأسى وهو بعيد عن وطنه وبلاده ويتذكر ملعب صباه، وفيها يمزج بين الحجازيات وقصائد البعد والهجران، يقول في إحدى موشحاته :

النـــوَى أفنَتْ قـُوَى جلَـــدِي فـَدُمُـوعُ العَيـن تَنْسَجِـمُ

لمْ أجِدْ عَوْنا عَلى السَّقَمِ غَيْرَ سَجْعِ الوُرْقِ فِي الظلمِ

ذكَرَتْنِي عَهْدَ ذِي سَلَـمِ فاستَهـلَّ الدَّمْـعُ كالدِّيَـمِ

يا حَمَامَاتِ اللوَى اسْعِـدِي مَكْمَـدا قـَدْ شَقَّـهُ السَّقَـمُ

هَلْ إلى تِلكَ الطلول سَبِيلْ أو بهَاتِيـكَ الخِيَام مَقِيـلْ

فَبِها يُشْفَى اليمُ الغَليلْ فَمَتى يُدْنَى المُعَنَّى العَلِيلْ

فَلهِيبُ الشَّوْقِ فِي كَـبدِي تـَرَكَ الأحْشَاءَ تَضْطَـرِمُ"[2]

وممـــا قالـــه في الزهد ؛ حيث تبدو عواطفه قوية ،تبرز فيها عاطفة الأسى والحزن، وقد تـــرك ماضيه السابق وندم على ما كان من تقصيره في أداء الطاعات ، ويتنلل إلى ربه فلم يبق مرشد غيره ،يقول :

مَضَى جُلُّ عُمْرِي فِي التَّباعُدِ وَالصَّدّ نَدِمْتُ وَهَلْ النَّدَامَةُ تُغْنِي أوتُجْدِي

أيا مُرْشِدِي وَقفٌ عَليكَ غَدا رُشْـدِي إليكَ مَددتُ الكفّ يا مُنْتَهى قَصْدِي

وَمِنْكَ رَجَوْتُ العَطْفَ بالمَنِّ وّالرِّفْـــدِ

بِحَبلكَ يا مَعْنى وُجُـــودِي تَعَلقِـــي فَهَبْ لِي يا مَوْلايَ عَطْفَة مُشْفِقِ

أقولُ وَقَوْلُ الحَقِّ أنْطَـقَ مَنْطِقِـــي إذا نَظَرْت نَفْسِي بِعَين مُحَقِّـقِ

---

[1]- الديوان :ص١٢١

[2] – نفسه :ص٢٥٠-٢٥١

عَلِمتُ أنَّ الذَّنْبَ أوْجَبَ لِي طَــرْدِي"[١]"

مــن خــلال ما سبق نجد أن العواطف في القصائد الدينية : المديح النبوي والحجازيات كانــت قويــة واضحة ، كذلك القصائد التي تحمل طابعاً وجدانياً كقصائد الهجران والشكوى وذات الشــوق إلى زيارة الأماكن المقدسة كانت قوية أيضاً،ويعود إلى أن الشاعر يصدر في أشــعاره مــن قلــب خــالص ،وصدق العواطف كذلك ينبع من خلال الأغراض التي ينظم فيها،فهو الشاعر الرافض للتكسب بالشعر،والقصيّ عن الحكام .

وكذلك فإن الشاعر في هذا الوقت يقف بالمرصاد لنفسه المخطئة؛فيحاسبها على ما ارتكبته فــي ســابق دهرها ،لذلك فكل هذه الأمور جعلت الشعر يعبر تعبيراً صادقاً عما يعتمل في الصدر .

وتعــتمد العواطف على البحور العروضية التي استخدمها في نظمه،فالشاعر يختار البحر العروضي حسب الحالة النفسيّة التي يعيشها ، فحالة الحزن تتطلب أوزاناً تختلف عن أوزان الشــعر في حالة الفرح والسرور،" فالشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع ؛ يصبّ فيه من أشجانه ما يتنفس عنه حزنه وجزعه ."[٢]"

وقد نظم ابن الصباغ جل قصائده وتخميساته على البحور ذات التفعيلات الكثيرة: الكامل والطويل والبسيط، وقد كانت مضامين هذه القصائد في المديح النبوي والحجازيات والشكوى والــتنلل، ومرثيته للرسول عليه السلام ،وهذا يتطلب عاطفة قوية حزينة ،وهذا البحر يتلاءم مــع عاطفــة الشاعر الحزينة المفعمة بالشوق لزيارة الأماكن المقدسة ،والحزن الشديد لوفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، كما أن هذه البحور تصلح لكل "ما يتصل بالحزن والعجز،

---

[١]- الديوان : ص٢٣٤-٢٣٥

[٢]- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر (مرجع سابق) ص١٩٦

فكـــثرة المـــدات تناســـب الإعياء والاسترخاء الذي يحلّ بالجسم نتيجة الصدمة، ويتلاءم مع الفتور الذي يهلهل النفس ويحطم قواها""[١]" ، وهذا واضح في شعر ابن الصبّاغ

فالـــبحر الكامل من البحور التي تصلح لنظم الشعر القوي وكذلك البحر الطويل من البحور كثيرة المقاطع فهي تصل إلى ثمان تفعيلات ، وإلى جانبه البسيط فهي جميعها أوزان تصلح للتعبير عن الموضوعات القوية الرصينة .

كذلـــك فقـــد نظم الشاعر على البحر الوافر بعض القصائد في الحجازيات ، وفي التذلل والهجـــران ،و الـــزهد ، وهـــذا قد بلائمه الإيقاع الخفيف يتلاءم مع الزهاد الذين صفت قلوبهم."[٢]"

أمـــا القافـــية :"فهي النغمة المتساوقة التي تشد الصورة الأدبية الجزئية في إطار الصورة الكلـــية العامـــة للقصـــيدة ، وتظهر عبقرية الشاعر في اختيار قوافيه" "[٣]" فالشاعر قد اختار قوافـــيه تـــبعاً للحالـــة النفســـية التي يعاني منها ، فكثيراً ماوردت القوافي وقد انتهت بألف الإطـــلاق ، الـــذي باســـتطالته يفرغ ما في صدره من حزن أو ألم،" أو القاف وهو حرف مستعل مهجور يحجز الهواء خلفه حتى ينقطع نفس الشاعر من شدة الحزن ، وهذا يؤكد أن الحـــزن فوق طاقته البشرية، أو الحروف اللين التي " تشكل الموسيقى التي تعبر عن حالة الشاعر المفعمة بالحزن والمرارة" "[٤]"

اللغة والأسلوب:

تعدّ "اللغة عنصراً من عناصر تكوين القصيدة الشعرية إذ هي وسيلة للشاعر في التعبير والخلق، وهي موسيقاه وألوانه ومادته الخام التي يخلق منها كائناً ينبض بالحياة والحركـــة، ويحمل من الملامح والسمات ما يميزه عن غيره من الكائنات الأخرى ،وكما يحمل الحجـــر

---

[١]– علي علي صبح : البناء الفني للصورة الأدبيّة في الشعر، القاهرة : المكتبة الأزهريّة للتراث،١٩٩٦، ص ٢٤٣
[٢]– نفسه" ص ٢٥٣
[٣]– المرجع السابق: ص٢٥٥
[٤]– علي علي صبح : البناء الفني للصورة الأدبيّة في الشعر،" مرجع سابق، ص٢٥٨

صورة نابضة لمثالٍ بارع ،فكذلك اللغة في يد الشاعر أو الكاتب قادرة على أن تحمل صورة نابضة حية" ."[١]"

إن موضوع القصيدة وصورها وموسيقاها لا تستطيع وحدها أن تعطي القصيدة قيمتها النهائية ،ولكن " العلاقة التي تنشأ بين اللغة وبين التجربة الشعورية ،والفروق الدقيقة التي تنشأ من هذه العلاقة هي التي تحدد قيمة العمل الفني "[٢]"

فالشاعر قادر على أن يجعل السامع متأثراً بما يحسّ به عن طريق استخدامه للغة الملائمة في عرضه للفكرة التي يريد إيصالها ،فعندما نقرأ هذه الأبيات من إحدى قصائد ابن الصباغ الجذامي يجعلنا وكأننا نتصور الموقف الشعوري الذي مرّ به ونعايشه معايشة تامة،فهو يختار لغة مؤثرة تظهر في استعمال لغة حزينة مؤلمة وهو يصف موقف البعد والتوديع فالألفاظ سهلة ، فالشاعر يبتعد عن الغريب ، والوحشي من اللغة ، وفي هذه الحالة جاءت صوره رقيقة لا يتعثر اللسان بنطقها ، يقول :

للهِ قلـــبٌ بالفراق مُروَّعٌ يُضْحِي ويُمسِي في أليمِ توجّعِ

يابينُ كم تُشْجِي فُؤادِي عامـــداً وَتَذِيبُ أحشائِي وتُلهب أضْلُعِي

أمودِّعِي صبراً عسى من قد قضى بالبينِ يَقْضِي بالتّواصُل فارْجِعِ

ولقد جَزَعْـــتَ لِبينِهم إذ ودّعُوا من ذا ليوم وداعهم لم يجزعِ"[٣]"

كذلك قيام الشاعر بالاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتذيل على أبيات لشعراء آخرين ، كما أن الشاعر استخدم في بعض القصائد أسلوب الحوار، كذلك فقد كانت لغة الشاعر متلائمة مع الغرض الشعري الذي يعالجه في قصيدته، فهناك قصيدة الزهد والتي جاءت بأسلوب الحوار والزجر ، والتنبيه على عواقب الأمور؛ لذلك فقد جاءت تنطق بالحكمة والموعظة،وهناك القصيدة الصوفيّة فقد جسدت المعاني الصوفيّة ، وتحدثت

---

[١]- فوزي سعد عيسى :الشعر الأندلسي في عصر الموحدين(مرجع سابق)،ص٢٦٢

[٢]- نفسه ص٢٦٢

[٣]- الديوان : ص١٦٧

عن أفكارهم ،وما يؤمنون به، وبرزت فيها الكثير من المصطلحات التي لايفهمها إلا، من كان متبحراً في الصوفيّة .

وهناك قصيدة الحنين والشوق ، وفيها بدا واضحا الحسرة والندم على عدم القدرة على الوصول إلى ديار الحبيب.

ولما كانت هذه الأمور ذات علاقة بنفسية الشاعر وبيئته والغرض الذي يكتب النص من أجله ارتأيت النظر فيها ولو بصورة موجزة تكون على شكل توطئة وتمهيد للنظر في الموضوعات الفنية الأخرى ، وللمساعدة في استجلاء أبرز الخصائص والمميزات علـــى صعيد المعاني والألفاظ وأشكال التعبير وغيرها.

أ-التكـــــــرار :

يعدّ التكرار من الظواهر التي يستخدمها الشعراء في القديم والحديث على حدٍ سواء . وقد وردت هذه الظاهرة في كتب البلاغـــــة عند النقاد القدماء ، "ففي كتاب البيان والتبيين للجاحظ جاءت بمعنى الترديد ؛ حيث يرى أن ترداد الكلام يكون على قدر المستمعين ، وأن الله عزّ وجلّ قد ردّد كثيراً من أحاديث القصص لأنه كان يخاطب بها جميع الأمم من العرب والعجم ."[١]"

و عرض ابن قتيبة لأسباب التكرار في بعض سور القرآن ،وبرهن عليه بأن "التكرار جاء على مذاهب العرب ، وأن الغرض منه التوكيد والإفهام ". "[٢]"

والتكرار قد يكون في إيراد اللفظة أو الألفاظ في نفس العمل الأدبي أويكررها في أعمال أدبية أخرى ، وفي ديوان ابن الصباغ الجذامـــي نجد أن التكرار سمة واضحة وتتجلى هذه الظاهرة في تكرار العبارات في غير شكلٍ شعري،فنجده يكرر الكلمـــة عينها الواردة في

---

[١]- الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت : دار الجيل ،ج١، ١٩٩٠

[٢]-ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط٣، ١٩٨١ ،ص ٢٣٢- ٢٤١

قصيدة في تخميس ، أو يكرر هذه الألفاظ الواردة في قصائده في موشحاته ،كذلك فقد كان يكرر معاني العبارات الواردة في إحدى قصائده في قصائد أخرى أو في الأشكال الأخرى وهكذا،ومن أكثر ما تكرر في الديوان ألفاظ وعبارات تركز على مقام الرسول _ عليه الصلاة والسلام_ ،كذلك فهو يكرر الدعاء بالسقيا للديار الحجازيّة والتحسر والأسى والتي ترد بكثرة في حديثه عن التقصيـــر في زيارة البقاع المقدسة .

ومن تكرار الكلمات مثلاً فقد تكررت كلمة (واهاً) ،وكلمة (فوا حسرتا) ،وكلمة(فوا كبداه)و كذلك كلمة(أسفاً) وهي من ألفاظ الحسرة والندم في أبيات متعددة، يقول:

وَاهَـــا لِقلـــــبٍ نَائِمٍ مُتكاسِلٍ سَكْرانُ مِنْ خَمْرِ التغَافُلِ طَافِحِ:"[١]"

فهذه اللفظة يكرره في موشحة له وفيها يؤكد على عمق المصيبة التي يشكو منها ؛ وهي التقصير ،وأن الكبر قد حلّ به وذهب العمر ، يقول:

حـــــلّ المَشِيبُ وَوَلى العُمْـــــــرُ

وَاهـــــاً وواهَـــــــــاً أوْدَى بك الكِبـــــــــــــر"[٢]"

كذلك فإنه يكرر لفظة أخرى وهي واحسرتاً ، وهذا وارد في قوله :

وَاحْسرَتاً مِمَا تكِن جَوَانِحِي ولّى شَبَابي بالزَّمَانِ الصَّالِحِ"[٣]"

وهذه الكلمة نجده يكررها في موشحة له

يا حَسْرَةً لمْ تَدَعْ مني إلاَّ الرُّسُومْ ماذا بأكبادِي يا لهفي من الهُمومْ "[٤]"

وتظهر كلمة أسفا في قصائد أخرى ؛ حيث يقول في إحدى قصائده :

أسَفاً عَلى مَا كانَ مِنهُ وَحَسْرَةً فَعَسى الليالي بالوصَالِ تَجُود"[٥]"

---

[١]- الديوان : ص١٢٨، وانظر أيضاً ١٤٣

[٢]- نفسه: ص٢٧٣

[٣]- المصدر السابق: ١٢٨، وانظر أيضاً ص١٣٦بيت ١٢،ص١٨٥ بيت١٢

[٤]- الديوان : ص٢٧١

[٥]- نفسه: ١٣٠ البيت١١،وانظر أيضا ص١٤٨:بيت١٢،ص١٨٣:بيت١٠

له الشَّمْسُ والأقمَارُ تَعْنُو مَهَابَة ولَمْ لا وَذَاكَ النُّورُ قدْ خَرَقَ الحُجُبا"[١]"

كذلك نجده قد كرّر المعنى ذاته في قصيدة وتخميس عند حديثه عن غصن الشباب الذي قد ذوى وانهدت قواه ؛ حيث في القصيدة

حُثَّ الرِّكابَ إلى الشَّفِيعِ فقدْ ذَوَى رَوْضُ الشَّبِيبةِ وانْحَنَى غُصْنُ القُوَى "[٢]"

ويكرر هذا المعنى في التخميس الثالث عشر ، فيقول :

ولي الشَّبَابَ وقدْ ضَعُفْتُ عَنِ القوى غُصْنِي وقدْ أضْحَى نضيًّا قدْ ذَوَى

ولِذَاكَ لَهْفُ تأسّفِي قلبـــي كوى وأنا مُقِرٌّ بالنَّوَانِي والهَـــــوَى

فإلى مَتَى وإلى مَتى لاأرجع"[٣]"

وقريب من هذا ما أورده في الموشحة التاسعة عشرة ؛ حيث يقول:

حَلَّ المَشِيبُ وَوَلَّى العُمْـــــر

ولي الشَّـــــبابُ وجَاء الشَّيب ونارُ حِرْصِكَ ماإن تَخْبُـــــــو

عُتِبْتَ لو كانَ يُجْدِي العَتَـــبُ مَاذَا علَـــى ما تَرى تُنْتظِـــــرُ"[٤]"

كذلك نجد أن الشاعر قد كرر عبارة واحدة في عدد من الأشكال الشعرية:القصائد، والتخميسات والموشحات، فالشاعر يعلن أنه قد خدّد خدوده من كثرة البكاء ، وقد وردت هذه العبارة مرات باللفظ حيناً وبالمعنى أحيانا، ففي هذه القصيدة يذكر لنا ما أصابه من هجر أصحابه له؛ وأن دموعه قد أحدثت أنفاقاً في خديه ، يقول :

رُحْمَاكُـــــمُ في حَلِيفِ حُزْنٍ علَى الضَّنَى والأسَى جَلِيدُ

قدْ خُدِّدت مُذْ هَجَرْتُمُـــوهُ بدَمْعَةٍ فِيكُـــــمُ الخُدودُ[٥]"

وفي موشحة له يذكر أيضاً المعنى نفسه ، وقريباً من لفظه ، يقول :

١-: الديوان :ص١١٧ ، وللمزيد حول التكرار : انظر القصائد ص١٢٠، ١٣٣ ، والموشح ص٢٦٧

٢- نفسه:ص١٢٥

٣- المصدر السابق: ص٢٣٠

٤- الديوان:ص ٢٣١

٥- نفسه: ١٥٤

وهذه الكلمة تتكرر في قصيدة أخرى وفيها يظهر الأسى والحزن الشديدين على الليالي السابقة، يقول:

أسَقِي على أيَّامِ عُمْرٍ قَدْ مَضَتْ حَسَرَاتُها تَدَعُ الفؤادُ صَدِيعَا"[١]"

مما سبق نرى أن الشاعر يكرر ألفاظ الحسرة في مواقع مختلفة من ديوانه في مختلف الأشكال الشعرية للدلالة على الوضع النفسي الذي كان يعانيه ،وأن هذه المعاناة ــ كما أعتقد بسبب التقصير الكبير في واجباته الدينية.

كما إن الشاعر يكرر بعض العبارات بلفظها أحياناً وبالمعنى أحياناً أخرى ، فالشاعر يطلب إلى سامعيه أن يقفوا عند سماع ذكر الرسول ﷺ فيقول في إحدى قصائده :

يا شَادِياً يَشْدو بمَدْحِ مُحَمَّدٍ كَرِّرْ فَديْتَك مَدْحَهُ يا شَـادِي

كرِّرْ على الأسْمَاعِ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ فلِذِكْـــرِهِ بَرْدٌ على الأكْبَـادِ

وأعدْ عَلينا نَظْمَ فَخْرِ خِلالِ مَنْ بَهَرَ الهَوَى مِنْ حَاضِرٍ أوبَادِي"[٢]"

فهو يكرر هذه المعاني في قصيدة أخرى، يقول :

أيا شَادِياً يَشْدُو بأمْدَاحِ أحْمَدَ سَمَاعُكَ طِـبٌ ليْسَ يَعْقِبُـهُ نَكْسُ

فكرِّرْ رَعَاكَ اللهُ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ فقدْ لذَّتِ الأسْمَاعُ وارْتاحَتِ النَّفسُ"[٣]"

كذلك فإن الشاعر يكرر المعنى والفكرة، ففي هذه القصيدة يكرر شيئاً من المعنى، يقول:

لأحْمَدَ تَعْنو الأقْمَـــار فعدِّد فَخَـــارَه

وانْظُـــم ثناهُ أشْعَارْ ولازم وَقَـــارَه"[٤]"

فهو يكرر المعنى ، وهي معجزة النبي عليه السلام في البيت الآتي، حيث يقول:

---

[١]– الديوان: ص١٩٣

[٢]– نفسه :ص١١٤

[٣]– المصدر السابق: ص١٢٠

[٤]– نفسه:ص٢٨٤

خَددّ بالدُّمُوع الخدَّا فلسْتَ بباقِـــــــي:"[١]"

مما سبق نجد أن ظاهرة التكرار موجودة في ديوان ابن الصباغ الجذامي بكثرة ؛ حيث تكررت عبارات في قصائد وموشحات ، كذلك فقد تكررت معاني عبارات أخرى في قصائده وموشحاته ،ولاحظنا أن معجزة الرسول ﷺ _ انشقاق القمر _ قد كررها في قصيدة وموشحة ،وقد يكون الغرض من هذا التكرار التركيز على هذه المعاني وتوكيدها، كذلك فقد يكون السبب في التكرار هو أن الشاعر قد قصر ديوانه على موضوعات محددة.

ويحتمل أن الشاعر كان يلجأ إلى أسلوب الإطناب في أشعاره ،فقد كان يكـــرر العبارة الواحدة بلفظها في أكثر من موضع أو يعيد تكرار معاني بعض العبارات في مواضع أخرى ، وقد يكون السبب في اعتناء الشاعر بكلمة أو جملـــة أكثر من سواها لأن الشاعـــر يريد تسليط الأضواء على نقطة حساسة أو مهمة ،وقد يكون لهذه الكلمة أو الجملة دلالة نفسية عنده .

والتكرار الزائد قد يودي إلى إخراج الشعر من دائرة الجودة ، تقول نازك الملائكة حول هذه الظاهرة:" والملاحظ أن الكثير مما كتب في التكرار رديء ، وعلة الرداءة أن طائفة من الشعراء تضيق بهم السبل التعبير فيلجأون إلى ظاهرة التكرار التماساً لموسيقى أو ملئاً لفراغ."[٢]"

كذلك فقد كان الشاعر يريد من خلال التكرار التأثير على سامعيه من الجو النفسي الذي كان يعايشه ويريد أن ينقل إلى المتلقين الصورة التي كان يشعر بها، تقول نازك الملائكة في حديثها عن التكرار: "القدماء يركزون على الجانب التأثيري الذي يخلفه في نفس المتلقي السامع والقارئ ،والباحثون العرب يقرون أن التكرار معروف منذ الجاهلية."[٣]"

---

[١]- المصدر السابق:ص٢٦٥

[٢]- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، بيروت : دار العلم للملايين ،ط٤ ،١٩٧٤، ص ٦٧

[٣]- نفسه، ص ٢٥٣

لذا فإن التكرار يحدث في نفس السامع ما كان يحسّ به الشاعر ،يضاف إلى ذلك أن الشاعر قد قصر ديوانه على أغراض معينة ؛ مما جعله يردد بعض العبارات ويكررها

ب-التأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف:

الاقتباس لغة كما جاء في اللسان وفي مادة قبس: " شعلة من نار تقتبسها من معظم، وفي الاصطلاح فإن الاقتباس: إدخال المؤلف كلاماً منسوباً للغير في نصه ، ويكون ذلك للتحلية أو للاستدلال."[١]"

والاقتباس أن يتضمن الكلام نثراً أو شعراً شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف . وقد عرّفه القزويني في كتابه الإيضاح : " أن يُضمن الكلام شيئاً من القرآن الكريم والحديث لا على أنه منه"."[٢]"

ومما اتسم به ديوان ابن الصباغ في بناء القصيدة الشعرية هو الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف،كما أن ابن الصباغ لجأ إلى أسلوب التذيل على أبيات شعرية لغيره ،كذلك فقد قام بتضمين أشعاره بعض الحكم والأمثال . وقد أعطينا بعض الأمثلة على الاقتباس والتضمين في الفصل السابق ولا داعي للتكرار

وقــد اتخذت ظاهرة الاقتباس أكثر من شكل ،فمنه ما تمثل في الاقتباس باللفظ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ،كقوله في إحدى تخميساته وهو يتحدث عن يوم القيامة، وفيها يصف رحمـــة الله التي يصيب بها عباده الصالحين وفيها يقول :

كُلُّ شَيء وَسِعَته رَحْمَتِـــي لِعِبادِي قدْ خلقت جنتـــــي"[٣]"

خلّ عنها صَاح واحْذَرْ بَغْيَها يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ سَعْيَها "[٤]"

كذلك اقتباسه من معاني القرآن الكريم ، وفي البيت التالي يقتبس من سورة القدر:

---

[١]- ابن منظور: لسان العرب ، مادة(قبس)، (مصدر سابق)

[٢]- القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، (مصدر سابق) ص ٥٧٥

[٣]- الديوان ص ٢٤٣،(إشارة إلى الآية الكريمة (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء) الأعراف : ١٥٦)

[٤]- نفسه: ص٢٤٣،(إشارة إلى الآية الكريمة (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) غافر الآية :١٧)

وَقَومٌ عَلى بَابِ الكَرِيمِ وُقُوفُهُمْ يُنَاجُونَ مَولاهُمْ قِيَامَاً إلى الفَجــرِ"[١]

وقوله في القصيدة الأولى يصف أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ويشبههم بالنجوم لمن أراد الهداية ؛ حيث يقول :

أَصْحَابُ أَحْمَدَ كالنُّجُومِ لِمُهْتَدٍ يُهْدَي بنُورِ هُدَاهُم مَنْ حَارَا"[٢]

فهو إشارة إلى الحديث الشريف : (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) "[٣].

وبعد نستطيع أن نجمل بعض القضايا،فابن الصباغ شاعر مسلم ،وديوانه مقصور على القضايا الدينية لذلك كان من الطبيعي أن تظهر فيه الاقتباسات من القرآن الكريم والحديث الشريف.

ج- الصنعة البديعيّة:

وبعد أن تناولنا الأشكال الشعريّة نجد أن ألفاظ الديوان تتسم بطابع السهولة والوضوح ، وكذلك البعد عن التعقيد والغرابة والوحشية ، والبعد عن الألفاظ التي تخل بفصاحة الكلمة فيما تعارف عليه علماء اللغة في مؤلفاتهم ،مثل " ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد "[٤]"

فالقصـــائد التـــي تحمـــل الطـــابع الديني وكذلك قصائد الزهد وقصائد الحنين كلها تتميز بالســـهولة والوضـــوح ، كمـــا أن القصائد التي تتحدث عن مواضيع الشكوى والمحن كلها تتصف بالسهولة .

الجناس:

الجـــناس: لـــون مـــن ألـــوان الزخرفة اللفظية عني به الشعراء والأدباء في الأندلس في نصوصهم الشعرية .

---

[١] – الديوان : ص١٨٩ إشارة إلى وقت ليلة القدر حتى مطلع الفجر ، فهي إشارة إلى قوله تعالى: (سلام هي حتى مطلع الفجر) سورة القدر أية ٦

[٢] – الديوان : ص١١٣ ، بيت ٣٦

[٣] – محمد بن علي الشوكاني : إرشاد الفحول، بيروت : دار ، تحقيق محمد سعيد البدري أبو مصعب ، ط١، ١٩٩٢، ص٤٠٦

[٤]– شهاب الدين محمود: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق أكرم عثمان يوسف، بغداد:دار الرشيد،١٩٨٠ ص١٠٣

والجـــناس: " أن يأتـــي المـــتكلم بكلمتيـــن متفقتيـــن لفظاً مختلفتين معنى، لا تفاوت في تركيبهما،ولا اختلاف في حركتهما " "[١]

والجـــناس بصورة عامة فن بلاغي من فنون علم البديع وهو: أن تتشابه اللفظتان في أربعة أمـــور : نـــوع الحـــروف ، وعددهـــا ،وهيأتها وترتيبها .وهذا ما اصطلح عليه البلاغيون بالجناس التام ."[٢]

أمـــا إذا فقـــد الجناس واحداً من هذه الأربعة كالشكل أو العدد أو الترتيب أو النوع سمي الجناس ناقصاً ."[٣]

وبمـــا أن الجناس من أدوات الزخرفة اللفظية والتزويق في الكلام وتحسينه؛ فإن الشاعر قد أعطاه أهمية ،وحرص على أن يطرز حواشي قصائده به.

وحين نتابع النظر في النصوص الشعرية في ديوان ابن الصباغ الجذامي يظهر لنا بروز عدد من ألوان الجناس وتظهر هذه الألوان في موضوعات:الوعظ والزهد والمدائح النبوية ، وكذلـــك يظهـــر فـــي قصائد الشكوى والهجران ، فمن الجناس التام في موضوعات المديح النبوي قول الشاعر ؛ حيث يجانس بين(أمام وإمام) وبين(مرامي ومرامها) ،وهذا واضح في قوله :

إذا يَمَّمُوا يَوْمَاً إمَامَ مَكارِمٍ فأحْمَدُ قدْ أضْحَى أمَامَ إمَامِها

فكمْ ذوعُلاً أوْمَى لِدَرْكِ مَقامِها فمَرّ ولمْ يُدْرك مَرَامِي مَرَامَها

وَكمْ ظَامَئ قدْ رَامَ يَرْوِي بريِّها فآبَ وَقدْ أضْحَى عَليلَ أوْامَهَـــا"[٤]

وفـــي شـــعر الهجران ؛ حيث جانس الشاعر بين كلمتي أقصى وقصّا ،وجانس بين قبض وقبصا وهو من الجناس الناقص، قوله :

١- الديوان : ص١٨٤

٢-الخطيب القزويني: الايضاح في علوم البلاغة ،(مصدر سابق) ص٢١٦-٢١٧

٣- للمزيد: انظر العسكري : الصناعتين علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة: مكتبة دار إحياء الكتب العربية ،ط١، ١٩٥٢ ص٢١٧ وما بعده

٤- الديوان : ص١٢١ ، الأبيات ٥-٧،وانظر أيضاً ص١٧٢-١٧٣

مُحِبٌّ بَرَاهُ الشَّوْقُ بالمَغْرب الأقصَى يُنَادِيكمُ ريشوا جَنَاحِي فقدْ قُصْـا

سَقَتـــــهُ الليالِي كأسَ ذُلّ وَمَهْنَةٍ فأصْبَحَ لا قبْضٌ لديهِ وَلا قَبْصَـا"[١]"

ومن الجناس الناقص قوله في الزهد في إحدى موشحاته،يجانس بين خدّد والخدّ، قوله:

أرَى صُبْـــحَ شَيبِ أنـــذَر يفَـــــــودِك قدْ بَـــان

فاسْكبْ عَبَـــــــرَاتِ الخَدّ تَـــــــوْكافاً وَتهْتَـــان

خدّد بالدُّمُـــــــوع الـــخَدا فلسْـــــــتَ بياقِـــي"[٢]"

وقـد سـلك الشاعر نهج من سبقوه فيما يعرف بتجنيس القوافي وهي سمة من سمات الصـنعة في العصر الموحدي ،ويعرفه العسكري بقوله:" أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروف على حسب ما ألف الأصمعي كتاب الأجناس"[٣]"

وقـد الـتزم ابن الصباغ الجذامي في الشطرين معاً في الشطرين معاً وهذا يظهر في إحدى قصائده في مدح المصطفى – صلى الله عليه وسلم؛حيث يقول :

تِلكَ المَعَالمُ إن خَطَبَتْ جَمَالهَا فاخْدمْ بأجْوَازِ القِفارِ جَمَالهَا

يا فارسَ الدَّعْوَى أدْركْ أبْطَالهَا لاتَغْلُ فِيهَا وَالتَزَمْ إبْطَالهَا"[٤]"

(والتجنيس يتشعب شعباً كثيرة فمنه المستوفي التام وهو أن يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظاً مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركتهما)"[٥]" كقوله:

نُورُ التَشـوُّق لِلدِّيَار جَلاَلهَا عَنْ حُجُبِـها فرَأت بِذاكَ جَلاَلهَا*

ومـنه المختلف ويسمى التجنيس الناقص وهو مثل الأول في اتفاق حروف الكلمتين الأولى فعل والأخرى اسم ،كقول الشاعر :

وَكَذا المَعَالِي إن فَتَى أهْوَى لهَا يَلْقَى المَكَارِه رَاضِياً أهوَالهَا *

---

[١] – الديوان : ص١٣٣ ،وانظر أيضا ص١٣٨-١٣٩

٢- نفسه : ص٢٦٥

[٣]- العسكري: الصناعتين ، (مصدر سابق)ص٣٢١

[٤]- نفسه : ص١٥٦

[٥] – شهاب الدين محمود: حسن التوسل إلى صناعة الترسل(مصدر سابق) ص١٨٣- ١٨٤

ومـــنه التجنـــيس المقارب وهو ما يقارب التجنيس وليس بتجنيس كقول الشاعر في القصيدة نفسها :

تاقتْ لهُ فتزَيَّدَتْ أوْجَالهَا واستَصْغَرتْ فِي حُبِهِ آجَالهَا *"[1]

الطبـــــاق :

والطـــباق مـــن الوســـائل التي اعتمدها ابن الصباغ في إطار عنايته بالمعنى واهتمامه بالتعابير والجمل التي تترجم مشاعره العديدة وتعبر عنها .

والطـــباق كمـــا يعرفه البلاغيون :(هو الجمع بين المعنى وضده في جزء من أجزاء الرســـالة أو الخطـــبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد)"[2]".وهو نوعان:

- طباق الإيجاب إذا كانت الكلمتان مختلفتين لفظاً ومعنىً كالذهاب والقدوم.

-طـــباق الســـلب إذا تحقق التضاد بوجود اللفظ ومنفيه في الكلام(مثل تعملون ولا تعملون) .

ومن النوع الأول وهو طباق الإيجاب كقول الشاعر يطابق بين كلمتي صلوا وصدوا في البيت الأول ، والقتل وحياة في البيت الثاني، يقول :

صِلوا وَصَدُوا فَمَا شِئتُم أشَاءُ وَمَا تَرْضَون مِنْ مِحْنَتِي فِي الحُبِّ يُرْضِينِي

فالقتلُ فِيكمْ حَيَـــــاةٌ لا نَفادَ لهَا وَالفقدُ فِيكمْ وُجُـــودُ العَيْشِ فأحْيُونِي"[3]"

وكذلك فالشاعر يطابق بين كلمتي (يزيد وينقص) وبين كلمتي(زيادات ونقص) في قوله في مخمس له :

يبَـــايكم صَبٌ يُحَاولُ أوْبَةً وكَمْ رَامَ أنْ يَسلُو فيُقصِر هَيْبَة

---

[1] – *الديوان :ص ١٥٦

[2] – العسكري: الصناعتين ، (مصدر سابق) ص٣٠٧

[3] – الديوان : ص١٣٧

مَضَى العُمْرُ وَهْوَ لمْ يَنو تَوْبَةً يَزيدُ بنقص العَمْرِ ضَعْفاً وَشَيْبَةً

وَتِلْكَ زِيادَاتٌ تُكَسِبَهُ نَقْصَا"[١]"

من خلال ماسبق نلاحظ أن الشاعر استخدم في أشعاره الطباق ، وقد تميز استخدامه للطباق من النوع الأول وهو طباق الإيجاب : أي أن التضاد في المعنى لم يتحقق بورود اللفظ ومنفيه في الكلام وإنما تحقق بلفظتين مختلفتين لفظاً ومعنى في قصائد المديح والتودد والشفاعة والاعتذار، كما ظهر الطباق جلياً واضحاً في قصائد الشكوى من المصائب والبعد وهذا الأسلوب وجد عند الشعراء الأندلسيين في عصر الموحدين.

والسؤال الذي يطرح من عدم تناول الشاعر النوع الآخر من الطباق ، مع أنه موجود في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم . وأظن أن السبب أن الشعراء كانوا يعتقدون أن هذا النوع من الطباق أسهل في تناوله من النوع الآخر ، وأنه أسهل إلى تزيين الكلام وتنميقه من طباق السلب لأن فيه تنويعاً يدفع السأم عن السامع ويدفعه إلى مواصلةالاستماع

المقابلة :

لون آخر من ألوان تزيين المعاني وتحسين العبارات بما يضفي عليها توسطاً واعتدالاً واستقامة وتوازناً في المعاني والألفاظ .

والمقابلـــــــة: "إيراد الكلام،ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"[٢]".

ويعرفها صاحب الإيضاح بقوله:" يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم يقابلها على الترتيب "."[٣]"

وقد عدها كثيرون صورة من صور الطباق ، وكان تقسيمهم له بهذا الاعتبار إلى قسمين مفرد وهو الطباق الذي أشرنا إليه سابقاً والذي يتضمن التضاد في المعاني بين كل لفظتين .

---

[١]- الديوان : ص٢١١ ،وللمزيد انظر ص١٤٧ البيت٧ وكذلك ص١٦٧ ،بيت ١٠

[٢]- العسكري: الصناعتين،(المصدر) ص ٣٣٧

[٣]- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة(مصدر سابق) ، ص ١٩٥

وطباق مقابلة: وهو الذي نعرض له هنا ويكون بين الجمل والعبارات لا بين الألفاظ والمفردات ."[١]"

أما ابن الصباغ فقد استخدم المقابلة ، لكن بصورة أقل من غيره من الفنون البديعية في قصائده ، وقد جاءت أكثر صور المقابلة عنده في قصائد الحنين والشكوى من البعد والهجران.

ومن صور المقابلة في ديوان ابن الصباغ قول الشاعر في وصفه للبعد وشكواه من الهجران وحنينه إلى وطنه :

أدِيلوا مِنْ الهجْرَانِ وَالبُعْدِ وَصلَة فَفِي قُرْبِكُمْ أمْنِي وَفِي بُعْدِكُمْ خَوْفِي"[٢]"

كما أن هناك صورة من صور المقابلة وهي في نفس موضوع البعد والهجران ؛ حيث أن الشاعر يقابل بين حالين في تعبير لطيف فيقول :

أضْحَتْ بهَا أيَّامُنا غُرراً كَمَا أمْسَتْ لَيَالِي دَهْرِنا خِيـــــــلاَنَا"[٣]"

الصورة الشعريّة :

إن الاهتمام بعلم البيان يسير إلى جانب الاهتمام والعناية بالألفاظ ، والبيان هو الكشف والإيضاح ، وهذا العلم يبحث في إيراد المعنى بطرق مختلفة، ومن موضوعاته التشبيه والاستعارة والكناية .

١.<u>الخيال:</u>

يعتبر الخيال في مقدمة العناصر المهمة التي يعتمدها الشاعر في تعبيره وتصويره .وتعتبر حقيقة الخيال من القضايا الصعبة في تفسير كنهها، فهي من القوى التي أودعها الخالق في الإنسان ، حتى أن النقاد والفلاسفة لم يتفقوا على تحديد معناه ، والخيال في أبسط

---

[١]- العسكري: الصناعتين ،(المصدر) ص٢٦٤

[٢]- الديوان : ص١٥٨ البيت٧

[٣]- نفسه: ١٨٦البيت١٦ ،وللمزيد انظر ص١٣١ البيت١١

تعريفاته هو: الملكة التي يستطيع بها الشاعر أن يؤلف صوره من إحساسات سابقة مخزونة في العقل ، كامنة في المخيلة حتى يحين الوقت فيؤلف منها الصورة التي يريدها . "[١]"

ويعتبر الخيال من أبرز أركان الشعر العربي في مختلف العصور ومن أسباب حيويته وقوة تأثيره في نفوس السامعين . والخيال: هو القوة التي بواسطتها صورة معينة أو إحساس أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس في القصيدة .

وعند العودة إلى ديوان ابن الصباغ نلاحظ أنه قد لجأ إلى الخيال في قصائده ،وأكثر من استخدامه للخيال الشعري وقد كان واضحاً عند حديثه عن الأماكن المقدسة والشعائر في الحج ،ولقد أسلفت بناءً على استنتاج أن الشاعر قد وصف الأماكن المقدسة في مكة والمدينة كما عدّد الكثير من الأماكن التي ينزل إليها الحجاج،وأن الشاعر لم يكن قد زار هذه الأماكن وإذا كان قد زارها ففي نهاية حياته وقد أسلفنا أن هذا الوصف قد يكون على سبيل السياحة الروحية وهذا أسلوب يلجأ إليه الكثير من شعراء المدائح النبوية . وإذا كان هذا الاستنتاج صحيحا فإن ابن الصباغ قد اعتمد على الخيال اعتماداً كبيراً جدا . فمعظم قصائد المديح النبوي والحجازيات ، وقصائد التشوق إلى الديار والشكوى من الهجران تلتزم هذا النوع من الأسلوب الخيالي

ويظهر هذا الخيال واضحاً عندما يخاطب الشاعر ساقي الأظعان المتجهة إلى ديار الحبيب أن يسأل عند وصوله إذا كان هناك من لقاء سيفوز به إلى تلك الديار ،ثم يذكر الشاعر عدداً من أسماء الأماكن وكأنها يعرفها مع أنه لم يزرها، لكن نفسه هي التي تتوق إلى تلك الديار وخياله هو الذي يزورها ، يقول في إحدى قصائده :

فيا سَاقِيَ الأَظْعَانِ المُثِيرَةِ بالضُّحَى أفِي ظُعْنِكُمْ قلبٌ عَليَّ شَفِيـــــقُ

إذا حِئتمُ مَغْنَى الأحِبَـــــــةِ باللوَى وَفُزْتم بأنْوَارٍ لهنَّ شُـــــرُوقُ

---

[١]- للمزيد: شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦،ص١٦٧ وما بعدها

سَلوا فِي خِيَامِ الحَيِّ مِنْ أهْلِ وَجْرَة مَتَى يَلتَقِي مُضْنَى النَوَى فَيَفِيقُ

ألا هَلْ يُنَادَي رَمْلِ رَامَـــــة وَقفة فَتُشْفَـــــي نُفُوسٌ لِلحَبِيبِ تتوُق"[١]"

فاللوى ووجرة ،و رامة كلها أسماء أماكن في مكة المكرمة . كما يبدو ظهور الخيال جلياً واضحا في قول الشاعر وهو يصف بلاده ومرابعه الأولى ، وقد أسلفنا في الفصل الأول أن الشاعر قد تغرّب عن بلاده وأحسّ بمرارة البعد وقسوته ، فأخذ يتذكر أيامه السابقة وما كان فيها من عزّ وهناء ذهبت ولم يبق منها إلا تخيلات تمر في عقله ونفسه ، يقول:

يُطَارِحُ بالأسْحَارِ وُرْقَ حَمَائِمَ وإن جَنَتِ الظلمَاءُ سَامِرَ كَوْكَبَـــا

ولا عَجَبٌ إنْ طَالَ بالرَّبْعِ حُزْنُهُ وَقَدْ أصْبَحُوا عَنْ سَاحَةِ الرَّبْعِ غُيَّبَا

مَعَاهِدُ كانَتْ للأوَانِسِ مَألَفـــــاً فيَا مَا أَلَذَّ العَيْشِ فِيهَا وأطْيَبَـــــــاً

لقَدْ كانَ لِي فِيهَا مَقِيـــــلٌ وَمَرْبَعٌ فأصْبَحتُ لاأبْغِي سِوَى العِزّ مَطْلَبَا"[٢]"

ويبرز الخيال بصورة كبيرة وواضحة عندما يقوم الشاعر بالتجريد ؛ حيث يستحضـــر إنساناً يحادثه ويلقي عليه المواعظ والنصائح ويهديه إلى السبيل الصحيح في العبادة ؛ يقول:

حَتَى مَتَى عَنَّا تُصَدُّ وتُعْرِضُ هَلاّ إلى نَفَحَـــــاتِنا تَتَعــرَّضُ

إنْ كانَ أعْيَاكَ السَّقَامُ وَطِبُّه فالجَأ إليَّ أنا الطَّبِيبُ المُمْرِضُ

أقْدِمْ عَلَيْنا يا جَبَانُ فَكَمْ تُرَى مُتَوَانِياً فِي وَعْرِ غَيِّكَ تَرْكُضُ

انْزِلْ بِسَاحَتِنا وَلُذْ بِجَنَابِنا فنزيلُ حَضْرَةِ عِزِّنا لا يُرْفَضُ"[٣]"

وبعد هذا الاستعراض لنماذج من القصائد التي تحوي أمثلة على الخيال ، نجد أن ابن الصباغ استخدم الخيال في قصائد الحجازيات والحنين والشكوى من الهجران ،ونستطيع أن نقول إن الشعراء الأندلسيين قد طوروا في استخدام الخيال معتمدين على الأصول المشرقية

---

[١]- الديوان : ص١٤٦

[٢]- نفسه: ص١٥٩

[٣]- المصدر السابق: ص١٤٤

إضافة إلى ما وصلوا إليه من معرفة واسعة في علوم العربية ،كما أن للبيئة الأندلسية دوراً كبيراً بما امتازت به من طبيعة خلابة وبيئة جميلة تبعث على البهجة والسرور، يضاف إلى ونستطيع أن نقول أن الشعر الأندلسي قد اعتمد على مجموعة من الأدوات لتحقيق عنصر الخيال ،وقد استعان ابن الصباغ بأكثر ألوان الزخرف البياني والبديعي مما يندرج تحت الخيال مثل : التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك.

٢- التشبيه :

التشبيه كما يرد في كتب البلاغة : (عقد مماثلة بين شيئين يراد اشتراكهما في صفة أو في مجموعة من الصفات . ويتم بأداة تسمى أداة التشبيه .أو هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في صفة معينة بأداة لغرض يقصده المتكلم) ."[١]"

ويعرفه صاحب جواهر البلاغة :" عقد مماثلة بين أمرين مصدر اشتراكهما في صفة أو أكثر لغرض يقصده المتكلم"."[٢]"

ويبرز التشبيه في المدائح النبوية ؛ حيث أن المدائح النبوية تعتمد على الوصف وإبراز صفات الممدوح وتشبيهه بأمور عديدة،ومن أنواع التشبيه التي ذكرها الشاعر التشبيه الذي حذف منه الأداة ووجه الشبه أو ما يسمى بالتشبيه البليغ ، ويرد بكثرة في القصائد المدحية يقول :

فَمُحَمَّدٌ شَمْسُ المَفَاخِرِ والعُلا والصَّحْبُ أضْحَوا حَوْلَهُ أقْمَارا

فَهُمُ البُدُور إذا عَدَمتَ أهلّة وَهُمُ الشُّمُوسُ إذا فقدْتَ نَهَارا"[٣]"

ومن تشبيهاته الجميلة لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام حين يشبههم بالنجوم،ومعناه مقتبس من الحديث الشريف، وهو من التشبيه المرسل المفصل، قوله:

---

[١]- للمزيد انظر العسكري : الصناعتين ،(المصدر) ص ٢٣٩

[٢]-أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، بيروت دار الفكر ، ط٢ ، ص ٢٤٧

٣- الديوان : ص١١٠-١١١ ، وانظر أيضاً ص١١٤-١١٥

أصْحَابُ أحْمَدَ كالنّجوم لِمُهْتَدٍ يُهْدَي بِنُور هُدَاهُمُ مَنْ حَارَا"[١]"

ومن التشبيه التمثيلي الوارد في بعض القصائد ، تصويره السباب الذي انقضى ، وذهبت حيويته بالروض اليانع المخضر ، وقد ذوى ، وذهبت حيويته ونظارته

حُثَّ الرِّكَاب إلى الشَّقِيع فقَدْ ذَوَى رَوْضُ الشَّبِيبَةِ وانْحَنَى غُصْنُ القُوَى "[٢]"

ابن الصباغ قد تناول التشبيه في شعره وبأنواعه المختلفة كالبليغ والمرسل المفصل ، والتمثيلي ..الخ

٣- الاستعارة :

الاستعارة : "هو ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظاً وتقديراً " "[٣]" وتأتي الاستعارة على نوعين :

الأول : "أن تعتمد نفس التشبيه ، وهو أن يشترك شيئان في وصف ، وأحدهما أنقص من الآخر فيعطى الناقص اسم الزائد مبالغة في تحقيــق ذلك الوصف له ، كقولك رأيت أسداً ، وأنت تعني رجلاً شجاعاً .

والثاني : أن تعتمد لوازمه عندما يكون جهــة الاشتراك وصفاً ، إنما ثبت كماله في المستعار منه بواسطة شيء آخر ، فثبت ذلك الشيء للمستعار له مبالغة." "[٤]"

فالاستعارة التصريحيّة ما صرّح فيها بلفظ المشبه به ، والمكنيّة ماحذف فيها المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه

ومن الاستعارات التي ظهرت في شعر ابن الصباغ ، وفيها يصوّر نفسه بالشيء الذي يذوب ،يقول:

---

[١]- الديوان : ص١١٣

[٢]- نفسه ص ١٢٥

[٣]- شهاب الدين محمود : حسن التوسل إلى صناعة الترسل(مصدر سابق) ، ص١٢٦

[٤]- نفسه : ص١٣٤

يا نَفْسُ دُوبي عَلى مَا فَاتَ مِنْه أسى يا عَيْنُ سُحِّي دَمَاً قَدْ عِيلَ مُصْطَبري"[١]"

ومن الاستعارة المكنيّة؛ حيث يصوّر الشبيبة بالغصن الذي يذوى ويموت:

حُثَّ الرِّكابَ إلى الشَّقِيع فقــَد ذَوَى رَوْضُ الشَّبِيبَةِ وانحَنَى غُصْنُ القــُوَى "[٢]"

ومن الاستعارات التي يوردها في قصائده تصويره البعد بالسكين التي تقطع فؤاده ، وهي استعارة مكنيّة، يقول:

هَذَا فُؤادِي قَطَّعَتْه يَدُ النَّوَى فَغَدتْ ضُلُوعِي للصَبابَةِ مَعْهَدَا "[٣]"

ومن الاستعارات التصريحيّة التي بدت في شعره تشبيه القصائد باللآلىء ، فحذف المشبه وصرّح بالمشبه به، بقول:

سَأنظــُمُ مِنْ فَخْرِ النَّبي مُحمَّدٍ لآلِيءَ لايَبْلَى جَدِيدُ نِظَامِهَا "[٤]"

٤-الكـــــــناية:

الكناية : " اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها فلا يخلو ، إما أن يكون معناها مقصوداً أيضاً ليكون دالاً على ذلك الغرض الأصلي ، وإما أن لا يكون كذلك" ."[٥]"

ومن التي نطالعها في الديوان قوله:

رَمَتْهُ النَّوَى عن قَوْسِ بُعْدٍ وَنِلــَّةٍ بِأسْهُمِ أشْجَانٍ يُسَدِّدُهَا الصَّدُّ "[٦]"

كذلك يظهر في البيت الآتي كناية أخرى:

وَإن جَرَّدَ السُّبــَّاقُ أسْيَافَ عَزْمَة فأنْتمْ وَإنْ أخِّرْتُ قِبْلَةُ مَقْصَدِي "[٧]"

---

[١]- الديوان :ص١٤٣، بيت ٧
٢- نفسه: ص١٢٥، بيت ١
٣- المصدر السابق: ص١٣٨
[٤]- الديوان :ص١٢٢
[٥]- شهاب الدين محمود : حسن التوسل إلى صناعة الترسل(مصدر سابق) ،ص١٤٠
[٦]- الديوان : ص١٢٤، بيت ٤
[٧]- نفسه: ص ١٢٨، بيت ٦

كذلك يكنّي عن الحمامة بذات الوشاح ، يقول:

فعَلَيْهَا مِن الكَئِبِ سَلامٌ مَا تَغَنَّتْ بالدَّوْحِ ذاتُ وشَاحِ "[١]"

[١] – الديوان :ص١٧٤، بيت١٦

الخاتمـــــــة

وبعد هذا المشوار الشائق مع الشاعر ابن الصباغ الجذامي،وبعد البحث والتنقيب والذي أمضيناه في ثنايا الديوان وموضوعاته يحسن بنا أن نقــوم بتدوين أبرز النتائج التي ، والتي أرجو من- الله جلّ وعلا- أن أكون قد وفقت في تجليتها ، وإني لأعلــم إنها ليست النتائج النهائية ؛ لكنها علامات بارزة وشارات توضح جانباً من البحث ،وتدفع الباحثين إلى مواصلة البحث والتنقيب عن جوانب كثيرة،وقد تعينهم في ذلك. فابن الصباغ الجذامي شاعر من شعراء دولة الموحدين ،وأنه من قبيلة جذام التي جاءت من اليمن ،وقد عاصر الخليفــة الموحدي عمر المرتضى ، ومدحه في قصيدة ،وقام بتخميس قصيدة للمرتضى.

كما بيّن البحث أن الشاعر ابن الصباغ يحتمل أن يكون من المغرب، وقد ذكر في ديوانه المغرب ولم يذكر الأندلس، وقد أبرزت القصائد أن الشاعر كان يتمتع بمكانة مرموقة ولكنه أبتلي بفقدان أحبابه وجاهه ومكانته ، وقد عمّر طويلاً.

كذلك فقد بدا جلياً وواضحاً أن الشاعر قد دخل مرحلة جديدة من الزهد في أواخر حياته ويبدو أن حياته السابقة لم تكن كذلك،والدليل على ذلك أنه يكثر من البكاء على الأيام السابقة في أشعاره ، وهناك المكفرات التي قالها ليكفر عما قاله في شبابه ويأسف على الأيام التي أضاعها في غير التقرب إلى الله عزّ وجلّ .

ومما يلاحظ كذلك أن الشاعر كان على يتمتع بثقافة عامة ،وتبرز جوانب متعددة :ثقافية ودينية ،ويبرز عنده الكثير من الحكم والمواعظ والأمثال والقصص القرآني وغير ذلك من هذه الجوانب .

وفي مجال شاعريته ؛فإننا نجد ابن الصباغ قد طرق أشكالاً شعرية متعددة. فقد نظــم القصيدة التقليدية ونظم في الموشحات وكذلك التخميسات .

يعتبر ديوان ابن الصباغ متميزاً في الأغراض الشعرية التي طرقها ، فالشاعر لم ينهج سير الشعراء الآخرين في تعدد الموضوعات التي يطرقونها في أشعارهم ،بل نجده أكثر نقاءً وتخصصاً في موضوعاته،فجاء ديوان ابن الصباغ الجذامي في المديح النبوي والزهد و الشكوى والحجازيات ،ولعل السبب عائد إلى تزهده في أخر حياته وإقلاعه عما سلف في أولها.

ومما يسجل لشاعرنا أنه استطاع أن يطوّع فن التوشيح لأغراض لم يوضع لها أصلاً، وهو المدائح النبوية والزهد ، ويعدّ من كبار الشعراء الذين نظموا في هذين الغرضين ، وقد تميّز عن معاصريه: كابن عربي والششتري في غزارة الإنتـــاج ، فقد عـــدت إلى بعض المصادر فوجدت أن ابن عربي قد نظم سبعاً وعشرين موشحه ، وللششتري تسع عشرة موشحه ، ولابن الصباغ سبعاً وثلاثين موشحه.

يبدو واضحاً ظهور الوحدة الموضوعية في القصيدة عند ابن الصباغ الجذامي،ولا يعد هذا مناقضاً لما قلناه في مكان آخر في هذا البحث ،فتعد أشعار ابن الصباغ ذات موضوع واحد ، وإن داخلها حديث عن الحجازيات ،أو الحنين إلى زيارة الأماكن المقدسة ،فهذه أعضاء في جسم واحد ، وهذا الأمر جعل من قصائد الديوان أكثر تماســكاً في السبك والوحدة ، في هذا العصر فقد عنوا بتماسك البناء ووحدته فارتبطت أبيات القصيدة مع بعضها ارتباطا بنائيا ومنطقيا لا سبيل للتقديم والتأخير فيه دون أن يكون فيه مساس بوحدة القصيدة.

أما ما يبرز في قصائد الزهد الحكم والمواعظ ، وقد نظمها الشاعر وهو يوجه حديثه إلى إنسان يخاطبه ، وأظن أنه لجأ إلى هذا الأسلوب لجلب انتباه السامع ،وشده إلى ما يريده من إقناعه بهذه المواعظ والحكم.

أما قصائد المديح النبوي التي نظمها ابن الصباغ ، فقد توزّعت بين المديح ، وإرسال الرسائل إلى الجناب المقدس ، لكن الملاحــظ أنه في ديوانه لم يخصص هذه القصـــائد

لأغراض محددة ؛ بل وجدنا أن القصيدة الواحدة تحوي أغراضاً متعددة ، وهـــذا الكلام ينطبق على الموشحات والتخميسات أيضاً .

كذلك فقد تميز ابن الصباغ عن كثير من معاصريه في أنه قد نظم بعض القصائد في اللزوميات ؛ حيث أنه كان يلزم نفسه بثلاثة أحرف في الروي والقافية ، وهذا يكون في جميع أبيات القصيدة ، وللشاعر عدد من هذه القصائد.

كما يمكن اعتبار ابن الصباغ الجذامي من أشهر الشعراء والوشاحين في عصر دولة الموحدين، ويعتبر من شعراء المقام الأول في المدائح النبوية ،فقد قصر شعره عليها ولم يتطلع إلى غيرها .

العناية بالأسلوب الحواري،فقد وجدنا ابن الصباغ يعنى بأسلوب الحوار ،وقد تميزت بعض قصائده بالأسلوب الحواري، ،كذلك فقد أولى الحوار عناية ، وقد برز جلياً في شعر الزهـــد خاصة،وبنى قصيدته الزهدية على خطاب السامع وحواره.

كذلك يظهر حب الوطن والتعلق به في كثير من القصائد التي يشكو الشاعر فيها من الغربة والهجران ، ولكن الوطن الذي يحن إليه هو الأماكن المقدسة في الحجاز.

كذلك فإن ابن الصبّاغ من شعراء الزهد والتصوّف الذين انتهجوا هذا الاتجاه امتثالاً لأمر الله عزّ وجل ، فهو الزاهد العابد الصوفي ، وقد ظهر جلياً في ديوانه الكثير من مصطلحات الصوفيّة كالحقيقة المحمدية ، وألفاظ الفناء والخمرة ...الخ ، إلا أن ابن الصباغ لم يكن كالشعراء الصوفيين الأخريين الذين ينهجون نهجاً فلسفياً ، كذلك فإنه لم يصف النساء في أشعاره كأبن عربي وابن الفارض.

ويظهر واضحاً عند ابن الصباغ سمة الدخول إلى الموضوع مباشرة ،وإن كان هناك بعض من القصائد التي بدأها بالحديث عن الديار والنساء ،فقد ظهرت الكثير من أسماء النساء والديار .

بروز النزعة الإنسانية والموضوعات الاجتماعية ، ولكن البحث قد توصل إلى أنها معالجة يبرز فيها البعد الذاتي أو وصف للمشاكل الخاصة، ولم تكن حديثاً عن المجتمع، وقد تركزت حول الشكوى من الموانع التي حالت دون زيارته للأماكن المقدسة.

يبرز في الديوان ظاهرة التشخيص جلية وواضحة،فكثير ما لجأ الشاعر إلى هذه الظاهرة وهو يخاطب إنسانا في قصائده الزهدية ، كما أنه يخاطب الرياح وكأنها شخـــص ليحمل رسالته إلى الحبيب.

أما نتائج الدراسة الفنيّة فقد وجدنا ابن الصباغ يطرق باب الفنون البلاغية فيظهر علم البيان بفنونه المختلفـــة : التشبيه المفرد والتمثيلي ، والاستعارة بقسميهـــا : التصريحيّة والمكنية ، ونجد الكناية حاضرة ، وإن تفوقت بعض الفنون على البعض الآخر.

أما علم البديع فيحتل مكانة في الديوان ، ونجد البديع في قسميـــه المعنوي واللفظـــي حاضرين ،فمن المحسنات المعنويّة نجد الطباق والمقابلة، أما المحسنات اللفظية فإنها أكثر تميزاً في الديوان :فهناك الجناس والاقتباس والتضمين ولزوم ما لايلزم.

المصادر والمراجع

أولاً المصـــــــــــــــادر:

١-**القرآن الكريم**

٢- ابن الأثير،عز الدين أبو الحسين علي: **اللباب في تهذيب الأنساب**، بيروت: دار صادر، ١٩٨٠

٣- **الأعشى:الديوان** ، تحقيق محمد محمد حسين ، بيروت : دار النهضة العربية ،١٩٧٤

٤- الأوسي : **زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام**، سراج الدين عمر بن إبراهيم بن عمر، الأنصاري الأوسي ت ٧٥١ هـ ، تحقيق كمال الدين علام ، بيروت ، دار الكتب العلمية ط١، ٢٠٠٣

٥-البخاري: صحيح البخاري ، بيروت :دار إحياء التراث، ط١، ٢٠٠١، كتاب الدعوات .

٦- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك: **الصلة** : القاهرة : الدار المصرية للتأليف والتراجم.

٧- الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي: **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٨- الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت : دار الجيل ،ج ١، ١٩٩٠

٩-ابن أبي الخصال : رسائل ابن أبي الخصال ،تحقيق محمّد رضوان الداية ، دمشق : دار الفكر ، ط١، ١٩٨٧

١٠-الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٧١.

١١-ابن خلدون :**المقدمة** ، بيروت : دار الكتب العلمية ،ط٤ ،١٩٨٠

١٢-أبو ريّاش أحمد بن إبراهيم: **شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي**، تحقيق داود سلّوم ونوري حمودي القيسي،بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٤.

١٣-ابن سناء الملك : **دار الطراز في عمل الموشحات** ، تحقيق جودت الركابي ،دمشق ١٩٤٩

١٤-السهروردي : عوارف المعارف، بيروت: دار الكتاب العربي ، ط١، ١٩٦٦.

١٥- ابن سيد الناس : منح المدح ، تقديم وتحقيق عفت وصال حمزة، دمشق : دار الفكر، ط ١، ١٩٨٧.

١٦-الشريف الرضي : **الديوان** ، شرح يوسف فرحات ، بيروت : دار الجيل ، مجلد ١، ١٩٩٥

١٧- شهاب الدين محمود(ت ٧٢٥ هـ): **حسن التوسل إلى صناعة الترسل** ،تحقيق أكرم عثمان يوسف، بغداد : دار الرشيد للنشر ١٩٨٠

١٨-الشوكاني محمد بن علي :**إرشاد الفحول** ،بيروت : دار الفكر،تحقيق محمد سعيد البدري أبو مصعب، ط١، ١٩٩٢

١٩-ابن الصباغ الجذامي : الديوان ، تحقيق د. محمد عناني ود. أنور السنوسي، القاهرة : دار الأمين

٢٠- ابن الصباغ الجذامي: **الديوان،تحقيق نور الهدى الكتاني،أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي ،ط١ ،٢٠٠٣**

٢١- ابن عبد ربه : **العقد الفريد** ، بيروت ، دار الكتاب العربي ،١٩٨٣ ،ج٣

٢٢- عبد الواحد المراكشي : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ١٩٤٩

٢٣- ابن عربي: **الديوان** ، شرح وتقديم نواف الجراح، بيروت : دار صادر ،١٩٩٩.

٢٤-العسكري : **الصناعتين** ،تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ،القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ،ط١ ، ١٩٥١

٢٥-ابن الفارض : الديوان ، بيروت : دار صادر، ١٩٩٨

٢٦- الفاسي (علي بن عبد الله بن أبي زرع) : **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط ، دار المنصور ،١٩٧٢

٢٧-الفيروز آبادي: القاموس المحيط ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت : مؤسسة الرسالة،ط ٥، ١٤٠٦هـ .

٢٨-ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله): **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر،بيروت : دار الكتب العلمية ، ط٣، ١٩٨١

٢٩-ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق محمد حامد الفقي، ج٣ .

٣٠-كعب بن زهير : **الديوان**، شرح الإمام أبي سعيد الحسن السكري ،مصر: الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٥٠.

٣١-محي الدين بن عربي : فصوص الحكم ، بقلم أبو العلاء عفيفي، العراق : دار الثقافة

٣٢- محي الدين بن عربي :ترجمان الأشواق ، بيروت : دار صادر ، ١٩٦٦.

٣٣-الإمام مسلم : **صحيح مسلم** ،أبو الحسين مسلم بن الحجاج ،ت ٢٦١هـ ،بيروت: دار الثقافة ،ط١، ١٩٦٣ .

٣٤-المقري : **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** ،تحقيق سعيد أحمد أعراب ومحمد تاويت، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي في السعودية والإمارات ، الرباط ، ١٩٧٩

٣٥- المقري ،الشيخ أحمد بن محمد المقرّي التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ،تحقيق إحسان عباس، بيروت :دار صادر ،١٩٦٨

٣٦- المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة،١٩٧٤.

٣٧- ابن منظور: ، **لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم ،ت٧١١ هـ ، تحقيق عامر أحمد حيدر،بيروت:دار الكتب العلمية ،ط١، ٢٠٠٣

٣٨-الميداني أحمد بن محمد بن إبراهيم: مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت : دار المعرفة، ١٩٥٥.

ثانياً المراجع:

١- إبراهيم أنيس : **موسيقى الشعر** ،بيروت : دار القلم للطباعة والنشر ،ط٤ ١٩٧٢

٢-أحمد الشايب : **أصول النقد الأدبي** ،القاهرة:مكتبة النهضة المصريّة،١٩٧٣

٣-أحمد الهاشمي : **جواهر البلاغة** ، بيروت : دار الفكر ،ط٢.

٤- بسام عبد الوهّاب الجابي : معجم الأعلام ، الجفان والجابي للطباعة والنشر ، ط١، ١٩٨٧

٥- جبرائيل جبّور : ابن عبد ربه وعقده، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٩.

للطباعة والنشر والإشهار ، ١٩٩٧

٦-جودت الركابي : **في الأدب الأندلسي** ،مصر: دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٩٦٦

٧-حمزة الفقير : العشرة المبشرون بالجنة ، عمّان : دار الإسراء ، ط١، ١٩٩٥

٨-زكي مبارك : **المدائح النبوية**، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢

٩-زكي مبارك : **المدائح النبوية** في الأدب العربي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٥

١٠-الزركلي: الأعلام ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط١٩٨٩،٨

١١- سيد غازي : **ديوان الموشحات الأندلسية** ، الإسكندرية : منشأة المعارف ،١٩٧٩

١٢-سراج الدين محمد: **الزهد في الشعر العربي**،بيروت: دار الراتب الجامعية ،١٩٩٨

١٣-السيد أحمد الهاشمي : **ميزان الذهب في صناعة شعر العرب** ،بيروت دار الكتب العلمية،ط١ ١٩٧٩

١٤-شوقي ضيف : **في النقد الأدبي** ، القاهرة : دار المعارف،١٩٦٦

١٥-شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات -الجزائر-المغرب-موريتانيا-السودان ،القاهرة : دار المعارف ، ط١، ١٩٩٥.

١٦-عبد الحكيم بلبع : **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه**، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٥

١٧عبد الحليم محمود: قضيّة التصوّف (المدرسة الشاذليّة)، القاهرة : دار المعارف، ط٢

١٨-عبد العزيز عتيق: **الأدب العربي في الأندلس**، القاهرة:دار الآفاق العربية

١٩-علي علي صبح : **البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر**، القاهرة : المكتبة الأزهريّة للتراث ،١٩٩٦.

٢٠-علي زبعور: في العقليّة الصوفيّة ونفسانيّة التصوّف، بيروت : دار الطليعة، ط١، ١٩٧٩

٢١-فاطمة طحطح : **الغربة والحنين في الشعر الأندلسي**، الدار البيضاء :مطبعة النجاح الجديدة ،ط١ ١٩٩٣

٢٢-فوزي سعد عيسى : **الشعر الأندلسي** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٦

٢٣-ماجد فخري :**ابن رشد فيلسوف قرطبة** ،بيروت : دار المشرق ، ط٣، ١٩٩٢

٢٤ - محمد زكريا عناني : **الموشحات الأندلسية** ، مكة المكرمة يناير ١٩٧٩

٢٥- محمد زكريا عناني : **ديوان الموشحات الأندلسية** ، دار المعرفة الجامعية ،ط٢ ، ١٩٨٦

٢٦ـ مصطفى عوض الكريم : **فن التوشيح** ،بيروت: دار الثقافة، ط٢ ،١٩٧٤

٢٧- منجد مصطفى بهجت:**الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة(٧٢ -٨٩٧ هـ)**، ١٩٨٧ ، نسخة مصورة

٢٨- نازك الملائكة : **قضايا الشعر المعاصر** ، بيروت: دار العلم للملايين ، ط٤ ،١٩٧٤

٢٩-النبهاني: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، يوسف بن إسماعيل النبهاني ، دمشق : دار الفكر ١٩٠٠

٣٠-ياقوت الحموي: **معجم البلدان** ، بيروت: دار الكتاب العربي

الدوريات

١-دائرة المعارف الإسلامية ،ترجمة أحمد الشفتاوي وحافظ جلال، دار الفكر، د.ط،د ت

٢-مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعيّة ، مجلد ٢٧، عدد ٢، ٢٠٠٠